من تفسير وتأملات

الآباء الأولين

رسالة يعقوب

القمص تادرس يعقوب ملطي

رقم الإيداع بدار الكتب : ٨٥٥٩ / ٢٠٠٠

صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم
الأنبا شنوده الثالث
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مقـــدمَة

رسائل الكاثوليكون

+ تلقب الكنيسة الرسائل السبع (يعقوب ، ورسالتى بطرس ورسائل يوحنا الثلاث ، يهوذا) بالكاثوليكون أى الجامعة[1] ، وذلك لأنها اتسمت بالعمومية، فلم تكتب إلى جماعة معينة أو كنيسة خاصة أو مدينة أو شخص كما هو الحال فى رسائل معلمنا بولس الرسول .

وإن كانت الرسالتان الثانية والثالثة من رسائل معلمنا يوحنا الحبيب قد وُجهتا إلى شخصين معينين لكن لصغرهما يمكن اعتبارهما امتداداً للرسالة الأولى ، خاصة وانهما يحملان نفس الطابع والأسلوب ...

+ هناك تشابه بين الرسائل وبعضها البعض وعلى وجه الخصوص بين :

(ا) رسالة بطرس الأولى ويعقوب .

(ب) رسالة بطرس الثانية ويهوذا .

(جـ) بين رسائل يوحنا الثلاث .

+ تعطى الكنيسة اهتماماً لهذه الرسائل فتحتم قراءة فصل معين أو أكثر على المؤمنين فى أكثر المناسبات وخاصة فى صلوات الأسرار المقدسة ...

+ يقول **القديس ايرونيموس** عن هذه الرسائل انها امتازت بالإسهاب مع الإيجاز ... إسهاب فى المعانى مع إيجاز فى العبارات مما يجعلها صعبة الإدراك كما ينبغى .

رســـالة يعقوب

كاتب الرسالة

ورد فى العهد الجديد ٣ أشخاص باسم يعقوب .

١ ـــ **يعقوب بن زبدى** (مت ١٠ : ٢) أحد الإثنى عشر تلميذاً ، وأخ يوحنا الإنجيلى . ولا يمكن أن يكون كاتبَ الرسالة إذ قتله هيرودس أغريباس الأول سنة ٤٤ م (أع ١٢ : ١) . وحتى ذلك الوقت لم تكن قد تأسست الكنائس المسيحية بشكل يسمح بكتابة رسائل لها ، وما كان قد حدث التشتيت الذى ذكره الكاتب ، أو ظهرت البدع التى أوردها .

٢ ـــ **يعقوب بن حلفى** (مت ١٠ : ٣) وتوجد أبحاث كثيرة لتحقيق ما إذا كان هو نفسه يعقوب أخو الرب أم شخص آخر .

٣ ـــ **يعقوب أخو الرب** ، (غل ١ : ١٩) أى إبن خالته ، وقد أجمع الرأى على أنه كاتب الرسالة . وفيما يلى موجز لحياته :

(ا) إن لم يكن هو نفسه يعقوب بن حلفى أحد الإثنى عشر[٢] وشقيق يوسى ويهوذا وسمعان[٣] ، فإنه يرى البعض أنه لم يكن مؤمناً بالرب أثناء حياة السيد على الأرض ، وذلك كقول الانجيلى « لأن إخوته أيضاً لم يكونوا يؤمنون به » يو ٧ : ٥ . وقد آمن به بعد القيامة إذ جاء فى أع ١ : ١٤ ان التلاميذ كانوا مجتمعين هم واخوة المسيح .

(ب) يذكر **القديس ايرونيموس** ، كما يؤكد التاريخ ، أنه رُسم أسقفاً على أورشليم وبقى فيها حتى يوم استشهاده . وقد وضع قداساً مازال الأرمن يصلون به .

(جـ) قال عنه **ابيفانيوس وأوسابيوس** أنه كان نذيراً للرب من بطن أمه ، فكان لا يشرب خمراً ولا مسكراً ولا يحلق شعر رأسه ويقتات بالبقول .

(د) دُعِىَ يعقوب البار ، إذ كان محباً للعبادة . ومن كثرة ركوعه للصلاة كانت ركبتاه كركبتى جمل .

ويذكر **القديس ايرونيموس** ان اليهود فى بداية الأمر كانوا يهابونه جداً ويتهافتون على لمس ثيابه . وفى إحدى المرات جاءوا به إلى جناح الهيكل لكى يشهد ضد المسيح فقال لهم « إن يسوع الآن جالس فى الأعالى عن يمين الآب ... وسيدين الناس » ، فلما سمعوه يقول هذا صرخ البعض قائلا « أوصنا لابن داود » ، فحنق عليه الكتبة والفريسيون وثاروا ضده ، وهم يقولون لقد ضل البار » ، ثم طرحوه من فوق إلى أسفل . أما هو إذ وقع إنتصب على ركبتيه طالباً الغفران لهم فأسرعوا برجمه[٤] ، ثم أتى صباغ وضربه بمدقة على رأسه فاستشهد فى الحال نحو سنة ٦٢ م ودفن فى موضع استشهاده بالقرب من الهيكل[٥] .

ويقول **يوسيفوس المؤرخ** أن من أسباب خراب أورشليم أن أهلها قتلوا يعقوب البار فنزل غضب الله عليهم .

(هـ) فى حوالى سنة ٥٢ م رَأسَ المجمع الأول فى أورشليم بخصوص إيمان الأمم . وقد أعلن القديس يعقوب قرار المجمع (أع ١٥) .

(ز) دعاه الرسول بولس أحد أعمدة الكنيسة ، وذكره قبل بطرس ويوحنا (غلا ٢ : ٩) .

لمن كتبت ؟

كتبت إلى « الإثنى عشر سبطاً الذين فى الشتات » . وقد كثرت الآراء فى تفسير هذا النص نذكر منها :

١ ــ يرى البعض أنها كتبت إلى الذين كانوا قبلاً يهوداً وقد تشتتوا قبل المسيحية ، وقد استخدم الله هذا التشتيت فى الكرازة بالمسيحية ، إذ آمن بعض منهم عندما جاءوا إلى أورشليم فى يوم الخمسين .

هؤلاء الذين كانوا قبلا يهوداً وآمنوا بالمسيح صاروا موضع ضيق واضطهاد من أقربائهم اليهود الذين رفضوا الإيمان بالسيد المسيح .

٢ ــ يرى آخرون أن اليهود إذ رأوا بعضاً آمنوا بالسيد المسيح ، وإذ كانوا ينتظرون مسيحاً حسب فكرهم ، يعطيهم سلطاناً زمنياً ، ويجعلهم سادة العالم

ويُخضِع الممالكَ لهم ــ وللأسف هذه الفكرة الصهيونية مازالت فى أذهان اليهود ــ لهذا أثاروا الرومان ضد المسيحيين ، فلجأ المسيحيون إلى الأمم إذ وجدوا بين الوثنيين صدراً رحباً أكثر مما لليهود الأشرار .

٣ ــ يرى البعض أن ذِكره الإثنى عشر سبطاً لايعنى أنهم من أصل يهودى وإنما إشارة إلى أن الكنيسة ــ أيا كان أعضاؤها ــ صارت الوريثة للأسباط روحياً ، وانتفت صفة « إسرائيل » من اليهود ... لهذا فاننا لا نؤمن بأن اليهود هم إسرائيل وإنما يَدَّعون هذا ، فقد أنكروا الإيمان وانتُزِعَت عنهم صفة شعب الله .

زمن كتابتها

كتبت فى أوقات اضطهاد اليهود للكنيسة . فقد أثار أغنياؤهم ورؤساؤهم الاضطهاد (أع ٤ : ١ ، ٥ : ١٧) ، وكان ذلك قبل اضطهاد دومتيان وتراجان.

وكتبت قبل سقوط أورشليم أى قبل تشتيت اليهود (٦٨ م) .

ويُرجِّح البعض أنها كتبت حوالى سنة ٦٠ أو ٦١ م ، فى الوقت الذى انتشرت فيه الضلالات التى فندها الرسول فى هذه الرسالة .

غاية الرسالة

١ ــ تشجيع المسيحيين لاحتمال الضيق الذى يعانونه من اليهود ، والكشف عن مفهوم التجارب على ضوء صليب الرب المتألم .

٢ ــ تشجيعهم على الثبات فى الإيمان بالرب إيماناً عملياً .

٣ ــ توضيح مفهوم الإيمان الحى وارتباطه بالأعمال .

٤ ــ إظهار خطورة بعض الخطايا التى يظنها البعض تافهة .

مميزاتها وارتباطها بالأسفار الأخرى

١ ــ اتبعت الأسلوب العملى بخصوص قداسة الحياة المسيحية .

٢ ــ سهولة التعبير وإيضاحه وخصوبة التصوير بايجاز . وقد جاء بها كثير من

التشبيهات المستقاة من فلسطين (١:١١، ٣:١١، ١٢، ٥:٧، ١٧، ١٨) .

٣ ــ الحزم فى التوبيخ مع فيض من الحنو والحب .

٤ ــ تتشابه مع الموعظة على الجبل من جهة كثرة الوصايا العملية ، حتى ظن البعض أنها تجميع لبعض أقوال الرب يسوع . وقد تحدث كلاهما عن النظرة الروحية للناموس فى أعماقه ، وعن أبوة الله ، والاختيار بين حب الله وحب العالم.

٥ ــ تتشابه فى كثير من عباراتها مع يشوع بن سيراخ[٦] والحكمة[٧] ورسالة بطرس الأولى[٨] .

٦ ــ إرتبطت بالعهد القديم ، ففى الحديث عن الصبر أشار إلى الأنبياء وأيوب (يع ٥) ، وفى الحديث عن الصلاة أشار إلى إيليا ... لكنها اتسمت بطابع العهد الجديد مع تكرار كلمة « اخوة » وذِكْرِه الولادة الجديدة (١:١٨) وعن الناموس الكامل ناموس الحرية (١ : ٢٥) وأسرار الكنيسة (يع ٥)...

هل هناك تناقض بينها وبين رسائل الرسول بولس ؟

ظن البعض بسبب سطحيتهم فى تَفهّم كلمة الله أن هناك تناقضاً فى الفكر بين ما ورد فى هذه الرسالة وما نادى به الرسول خاصة رسالته إلى أهل رومية ، ظانين أن الرسول يعقوب لا يبالى بالإيمان والرسول بولس لايبالى بالأعمال ، لكن من يدرس الرسائل يجد :

١ ــ عدم وجود تعارض فى الفكر بين الرسولين ، خاصة وان كليهما كانا على اتفاق فى المجمع الأول الذى رأسه يعقوب البار (أع ١٥) .

٢ ــ أن الرسول يعقوب يُحدِّث أناساً مؤمنين إنحرف بعضهم عن السلوك فى النور بدعوى أن الإيمان وحده قادر أن يبرر ولا حاجة للأعمال ، أما الرسول بولس فهو كرسول للأمم واجه جماعة من الذين كانوا أصلا يهوداً نادوا بضرورة تهوّد الأمم واختتانهم جسدياً متكلين على أعمال الطقس اليهودى فى ذاتها[٩] انها تبرر الإنسان ، هذا من جانب ومن جانب آخر فان الذين كانوا أصلا أمماً إتكلوا على أعمالهم قبل الإيمان لتبريرهم . لهذا لا نعجب إذ ركز يعقوب الرسول على

الأعمال وركز الرسول بولس على الإيمان رافضاً الاتكال على أعمال الطقس اليهودى فى ذاته وأعمال البر الذاتى .

٣ ــ يتفق الرسول بولس مع الرسول يعقوب فى ضرورة الأعمال للتبرير ، ولكن أية أعمال ؟ الأعمال المؤسسة على استحقاقات دم المسيح وليست أعمال البر الذاتى ، ويؤكد ذلك بقوله « ان كان لى **كل الإيمان** حتى انقل الجبال ولكن ليست لى محبة فلست شيئاً » ١ كو ١٣ : ٢ .

ان الإيمان بدون المحبة ليس بشىء فلا يبرر ... وما هى المحبة إلا كما عرّفها الرسول فى نفس الإصحاح أنها أعمال محبة عملية « تتأنى وترفق . لا تحسد...» ... الـــخ .

ولا غرابة ان رأينا الرسول بولس الذى ركز على الإيمان يؤكد أن المحبة أعظم من الإيمان (١ كو ١٣ : ١٣) .

٤ ــ ولا يقف الرسول بولس عند ضرورة الأعمال بل يؤكد أن الأعمال الشريرة تهلك الإنسان حتى ولو كان مؤمناً[١٠] .

٦ ــ لايتجاهل الرسول يعقوب الإيمان (يع ١ : ٦ ، ٥ : ١٥) بل كما سنرى يربط الأعمال بالإيمان والإيمان بالأعمال بلا انفصال ولا تمييز .

قانونيتها

هُوجمت هذه الرسالة فى القرن السادس عشر بسبب تركيزها على الأعمال ، حتى وُصفت بأنها « رسالة قش » . هذه النظرة تختلف تماماً عن نظرة الكنيسة الأولى التى كانت تتطلع إليها كجزء لا يتجزأ من الكتاب المقدس ، تُفهم على ضوء الكتاب كله ، بدونها يكون الجانب السلوكى المسيحى غير كامل[١١] .

فيما يلى بعض الشهادات عن قانونيتها :

أولا : الشهادة الخارجية

فى القرن الثانى الميلادى أشار العلامة أوريجانوس إليها كرسالة للقديس يعقوب، وقد عرفها كسفر قانونى(١٢) .

وُجدت مقتطفات منها ، أو تلميحات مقتطفة عنها فى أكليمندس الرومانى ، والديداكية ، ورسالة برناباس ، وأغناطيوس ، وبوليكربس ، وهرماس الخ ...

رأى البعض أن هذه الرسالة لم تنتشر بسرعة مثل رسائل القديس بولس ، خاصة فى الغرب ، ذلك لأنها كُتبت للمسيحيين من أصل يهودى الذين فى الشرق ، ولم توجه للكنائس التى من أصل أممى(١٣) .

هذا ويلاحظ أن هذه الرسالة مع رسالتى بطرس والرسالة إلى العبرانيين ، لم تذكر فى القانون الموراتورى Muratorian Canon ، وذلك ربما يرجع إلى إصابة نص هذا القانون بالتلف .

ثانياً : الشهادة الذاتية(١٤)

يقدم الكاتب نفسه بطريقة بسيطة : « يعقوب عبد الله والرب يسوع المسيح» ١ : ١ ؛ هذا الوصف البسيط يكشف أن الكاتب معروف ، ولما كان إثنان مشهورين بهذا الإسم ، هما يعقوب بن زبدى الذى إستشهد سنة ٤٤ م بواسطة هيرودس ، والآخر يعقوب أخ الرب الذى كان له دوره الحيوى فى الكنيسة الأولى، فواضح أن الرسالة هى من وضعه بوحى الروح القدس .

وتظهر أصالة الرسالة وانها بالفعل من وضع القديس يعقوب من الآتى :

(١) **لدى الكاتب خلفية يهودية** ، إذ لا يستطيع أحد ان ينكر أن فكر الكاتب قد إنسحب من العهد القديم . بجانب الإقتباسات المباشرة (١:١١ ؛ ٢:٨ ، ١١ ، ٢٣ ؛ ٤ : ٦) توجد تلميحات بلا حصر من العهد القديم (١ : ١٠ ؛ ٢ : ٢١ ، ٢٣ ، ٢٥ ؛ ٣ : ٩ ؛ ٤ : ٦ ؛ ٥ : ٢ ، ١١ ، ١٧ ، ١٨ الخ) . وعندما أراد تقديم توضيحاً للصلاة والصبر استخدم شخصيات من العهد القديم . كما ركز على الاهتمام بحفظ الناموس (٢ : ٩ — ١١) ...

واضح أن فكر الكاتب يحمل الطابع اليهودى ، وأيضاً تعبيراته ، مثل إستخدامه تعبير « رب الجنود أو الصباؤوت » ٥ : ٤ ، « مجمعكم » ٢ : ٢ ؛ « إبراهيم أبونا » ٢ : ٢١ ...

(ب) وجود تشابه بين ما جاء فى الرسالة ، وخطاب القديس يعقوب فى سفر الأعمال (ص ١٥) ، كاستخدامه كلمة « إخوتى » ٢ : ٥ (أع ١٥ : ١٣)، و « خائفين (السلام) » ١ : ١ (أع ١٥ : ٢٣) ، وأيضاً « الإسم الحسن الذى دُعى به عليكم » ٢ : ٧ (راجع أع ١٥ : ١٧) ... مع وجود مفردات كثيرة مشتركة .

(جـ) يرى بعض الدارسين أن **التشابه القوى بين ما جاء فى هذه الرسالة وأقوال السيد المسيح** ، مثل الموعظة على الجبل ، يؤكد أن الكاتب سجل لنا من وحى ما سمعه بنفسه عن السيد المسيح .

فيما يلى أمثلة لهذا التشابه :

١ : ٢ الفرح وسط الضيقات (مت ٥ : ١٠ ــ ١٢) ؛

١ : ٤ الحث على الكمال (مت ٥ : ٤٨ ؛

١ : ٥ طلب العطايا الصالحة (مت ٧ : ٧ الخ) ؛

١ : ٢٠ الغضب (٥ : ٢٢) ؛

١ : ٢٢ عن سامعى الكلمة والعاملين بها (مت ٧ : ٢٤ الخ) ؛

٢ : ١٠ حفظ الناموس كله (مت ٥ : ١٩) ؛

٢ : ١٣ بركات الرحمة (مت ٥ : ٧) ؛

٣ : ١٨ بركات صنع السلام (مت ٥ : ٩) ؛

٤ : ٤ محبة العالم عداوة لله (مت ٦ : ٢٤) ؛

٤ : ١٠ بركة الإتضاع (مت ٥ : ٥) ؛

٤ : ١١،١٢ الإدانة (مت ٧ : ١ ــ ٥) ؛

٥ : ٢ السوس والصدأ يفسدان الغنى (مت ٦ : ١٩) ؛

٥ : ١٠ الأنبياء كأمثلة لنا (مت ٥ : ١٢) ؛

٥ : ١٢ القسم (مت ٥ : ٣٣ ــ ٣٧) .

بجانب هذا توجد أيضاً مقارنات بين ما ورد فى الرسالة وتعاليم السيد المسيح فى مواضع أخرى ، مثل :

١ : ٦ ممارسة الايمان دون شك (مت ٢١ : ٢١) ؛

٢ : ٨ عظمة وصية محبة القريب (مت ٢٢ : ٣٩) ؛

٣ : ١ شهوة التعليم (مت ٢٣ : ٨ ــ ١٢) ؛

٣ : ٢ خطورة التسرع فى الكلام (مت ١٢ : ٣٦ ، ٣٧) ؛

٥ : ٩ إقتراب مجيء الديان (مت ٢٤ : ٣٣) .

(د) إتفاقه مع شخصية يعقوب الواردة فى العهد الجديد فى أول تعرف عليه نجده غير مؤمن بالسيد المسيح (مر ٣ : ٢١ ، يو ٧ : ٥) ، لكنه لم يكن بالشخص الغريب ، إنما مع محبته وتقديره لشخص السيد ربما لم يتفق معه فى طريقة حياته ، ولم يكن قادراً على إدراك رسالته[١٥] . قيامة السيد هى التى غيّرت مفاهيمه ، فلا نراه فقط بين تلاميذ السيد (أع ١ : ١٤) ، وإنما يُذكر بإسمه عند الحديث عن ظهورات القيامة (١ كو ١٥ : ٧) . ذكره الرسول بولس ربما لأنه أخيه عنها (غلا ١ : ١٩) ، وقد حسبه الرسول أحد أعمدة كنيسة أورشليم الثلاثة . وفى الأعمال (ص ١٥) نجده يرأس مجمع أورشليم الكنسى... هذا كله يتفق مع شخصية يعقوب كاتب الرسالة ، كشخص معروف يهودى الأصل يهتم بحفظ الناموس ، خاصة وانه يكتب فى أورشليم لشعب مسيحى من أصل يهودى .

(هـ) ظروف الجماعة التى يكتب إليها تشهد بأن الكاتب هو القديس يعقوب كتبها قبل خراب أورشليم ، إذ نجده يتحدث عن الأغنياء الذين يضغطون على الفقراء (٥ : ١ ــ ٦) هذا يناسب ما قبل الخراب وليس بعده . أيضا ذكره للحروب والمنازعات فيما بينهم يناسب حال أورشليم قبل خرابها ؛ هذا وعدم تلميحه عن سادة وعبيد وعدم ذكره شيئاً عن العبادة الوثنية هذا كله يناسب إنسانا مسيحياً من أصل يهودى يعيش مقدساً للرب فى فترة ما قبل خراب أورشليم(١٦) .

إعتراضات على الكاتب والرد عليها

١ ــ يعترض بعض النقاد الحديثين على أن يعقوب هو كاتب الرسالة بالقول بأن لغة الرسالة اليونانية توحى بأن الكاتب لا يمكن أن يكون إنساناً جليلياً بسيطاً ، بسبب غنى اللغة وسموها .

يرد على ذلك،أنه بجانب العمل الإلهى « وحى الروح القدس » الذى يتجاهله الدارسون المحدثون ، فإنه لا يوجد دليل ينفى أن يعقوب قد تهذب بالثقافة اليونانية ، خاصة وأن هذه المنطقة كانت مليئه بمدن يونانية . وقد عُرف يهود البحر الأبيض المتوسط بتدربهم على الثقافة اليونانية (الهيلينية) على أعلى مستوى ، بدليل قيامهم بالترجمة السبعينية للعهد القديم .

٢ ــ الإعتراض الثانى : لو أن الكاتب هو يعقوب ، لأشار أنه أخ الرب ليعطى للرسالة أهمية أكثر ، وتقديراً . يرد على ذلك بأن هذا الإعتراض غير مقبول، أولاً لأن القديس فى إدراكه لشخص السيد المسيح حسب نفسه «عبداً» « وخادماً » ١ : ١ . هذا وأن علاقتنا بالسيد المسيح لا تقوم على معرفة جسدية بحتة (٢ كو ٥ : ١٦) وقرابات دموية .

٣ ــ يتشكك البعض فى الكاتب قائلين ، بأنه لو كان الكاتب يعقوب أخ الرب لسجل الأحداث الكبرى فى حياة السيد المسيح مثل موته وقيامته ، خاصة وأنه إذ إلتقى مع الرسول بولس تحدث فى ذلك الأمر . ويرد على ذلك بأن يعقوب نفسه فى خطابه الوارد فى الأعمال (ص ١٥) أيضاً لم يذكر هذه الأمور ، أولاً

لأنه يقصد هدفاً معيناً بذاته وليس عرضاً لأحداث السيد أو لأفكار لاهوتية ، ثانياً لأن هذه الأحداث كانت معروفة تماماً فى الكنيسة ولم تكن تتطلب منه تسجيلها ، خاصة وأنه يكتب لهدف سلوكى (مسيحى) محدد .

٤ ــ لو أن الكاتب هو القديس يعقوب أخ الرب ، لكان قد كتب عن الناموس بطريقة أخرى كما ظن بعض الدارسين ، مثل التعرض لمشكلة الختان والطقوس اليهودية أكثر من الجانب السلوكى . يرد على ذلك بأن القديس يعقوب كتب الرسالة غالباً قبل إنعقاد مجمع أورشليم المذكور فى الأعمال (ص ١٥) ، وبكونه المسئول عن كنيسة أورشليم التى تمثل الكنيسة التى من أصل يهودى لم يرد أن يدخل فى هذا النزاع ... خاصة ويبدو أنه كان يميل إلى ملاطفة اليهود فى البداية لا عن إقتناع لأهمية الختان وغيره وإنما ليكسبهم ولا يعثر الآلاف منهم . فقد كان له دوره فى أن يتطهر بولس ويدخل الهيكل حسب الطقس اليهودى حتى لايعثرهم (أع ٢١ : ١٧ ــ ٢٦) . ونلاحظ ذات الأمر عندما جاء « قوم من يعقوب » إلى القديس بطرس ، فأفرز القديس نفسه من الأمم خوفاً من الذين هم من الختان (غلا ٢ : ١١ ، ١٢) الأمر الذى أثار القديس بولس ليقاومه مواجهة .

أقسام الرسالة

١ ــ الايمان والتجارب .	الاصحاح الأول
٢ ــ الايمان والأعمال .	الاصحاح الثانى
٣ ــ الايمان واللسان .	الاصحاح الثالث
٤ ــ الايمان والشهوات الأرضية .	الاصحاح الرابع
٥ ــ الايمان والانشغال بالغنى .	الاصحاح الخامس(١ــ١١)
٦ ــ الايمان فى كل الظروف .	الاصحاح الخامس(١٢ــ٢٠)

\+ + +

الاصحاح الأول
الإيمان والتجارب

يتحدث الرسول فى هذا الاصحاح عن **الايمان والتجارب** :

١ ــ مقدمة (تحية) .	١
٢ ــ التجارب الخارجية .	٢ ــ ٤
كيف نحتمل التجربة ؟	
أولا : باقتناء الحكمة السماوية .	٥ ــ ٧
ثانياً : باقتناء الاتضاع .	٨
ثالثاً : ادراك زوال العالم .	٨ ــ ١٢
٣ ــ التجارب الداخلية .	١٣ ــ ١٥
٤ ــ الله أبونا لا يهب الا الصلاح .	١٦ ــ ١٧
٥ ــ موقفنا كأولاد لله :	
أولا : الاسراع فى الاستماع .	١٨
ثانياً : الابطاء فى التكلم .	١٩
ثالثاً : الابطاء فى الغضب .	١٩ ــ ٢٠
رابعاً : نزع بذور الشر وغرس الكلمة .	٢١ ــ ٢٥
خامساً : تلجيم اللسان .	٢٦
سادساً : الرحمة بالآخرين .	٢٦
سابعاً : حفظ الانسان من دنس العالم .	٢٧

+ + +

١ ــ المقدمة (التحيـــة)

« يعقوب عبد الله والرب يسوع المسيح يهدى السلام إلى الاثنى عشر سبطا الذين فى الشتات » ع ١ .

لم يذكر الرسول نَسَبَهُ حسب الجسد للرب يسوع بل يدعو نفسه « عبداً » . والعبد كما نعرف لم يكن له حق أو سلطان حتى على جسده أو إرادته أو زوجته أو أولاده ... بل للسيد أن يتصرف كيفما يشاء . هكذا يحب يعقوب الرب إلى درجة العبودية ، يفرح جداً أن يترك للمحبوب أن يفعل به ما يريد ... هذه عبودية لكنها لا عن قسر وإكراه بل فى حب ورضى .

هذه أحاسيس الذين عشقوا الثالوث القدوس ، فإذ يرون الآب يفتح لهم أحضانه كبنين ، والابن يقبلهم كعروس ، والروح القدس هيكلا له ، يرتمون فى حضن الثالوث القدوس فى تسليم كامل كعبيد ، فيقول كل واحد منهم مع الرسول أنه « **عبد الله والرب يسوع المسيح** » .

هذا القول يكشف عن عظمة حب الرسول واعتزازه بالتعبد لله فى اتضاع حقيقى[1] .

٢ ــ التجارب الخارجيـــة

« احسبوه كل فرح يا اخوتى حينما تقعون فى تجارب متنوعة » ع ٢ .

لم يقل الرسول « يا أولادى » مثل يوحنا الحبيب بل « يا إخوتى » . والسبب فى هذا أنه يتحدث عن التجارب والآلام فيريد أن يبث فيهم روح الشجاعة كإخوة وأنهم ليسوا أطفالا وأبناء .

وقوله « يا إخوتى » يُذكرهم برباطهم معاً فى إخوة روحية خلال الميلاد الجديد كأبناء لله ، مما يجعلهم يتقبلون الآلام بغير تذمر ، وفى استسلام ، وفى فرح بل فى « كل فرح » .

وربما قصد بكلمة « كل » هنا أنها النهاية القصوى للفرح ، أو عدم تقبُّل شيء غير الفرح ، أو كل صنوف الفرح ، إذ تحل بهم صنوف متنوعة من التجارب . وكأنه يقول لهم : حينما تحل بكم لا تجربة ولا اثنتين بل تجارب متنوعة يليق بكم لا أن تفرحوا بل تفرحوا كل الفرح ...

وكلمة « تقعون » فى اليونانية لا تعنى السقوط أو الدخول فى تجارب ، إنما تعنى حلول التجارب واحاطتها بالإنسان من الخارج ، كما تحمل معنى المفاجأة فى الحلول وعدم توقعها . بهذا فان الرسول لا يتكلم عن التجارب التى تنبع من داخل النفس بل التى تحل بنا من الخارج .

فخلال هذا النسب الجديد نتقبل هذه التجارب المتنوعة بكل فرح[٢] قائلين « كحزانى ونحن دائماً فرحون » ٢ كو ٦ : ٩ . لأن هذه الآلام ليست بسبب الخطية بل هى سمة الرب المتألم « مكملين نقائص شدائد المسيح فى أجسادنا » كو ١ : ٢٤ .

وكما يقول **القديس يوحنا ذهبى الفم** : [« لأنه كما تكثر آلام المسيح فينا كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضاً » ٢ كو ١ : ٥ ... إنه يسمو بنفوسنا حاسباً هذه الآلام خاصة به ، **فأى فرح يشملنا أن نكون شركاء المسيح** ، من أجله نتألم ؟!]

بالإيمان ندرك الميلاد الجديد والقيامة ... فالذين يؤمنون بيسوع المقام حقاً يلزمهم أن يقدموا أنفسهم للآلام ... والذين لهم شركة فى آلامه يقومون معه أيضاً . « لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته لعلى أبلغ إلى قيامة الأموات » فى ٣ : ٩ — ١٢][٣] .

ويكتب **البابا أثناسيوس الرسولى** إلى شعبه الذى تحل به التجارب على أيدى الأريوسيين قائلاً : [لنفرح عالمين أن خلاصنا يحدث فى وقت الألم . لأن مخلصنا لم يخلصنا بغير ألم ، بل تألم من أجلنا مبطلا الموت ، لهذا أخبرنا قائلا « فى العالم سيكون لكم ضيق » يو ١٦ : ٣٣ . وهو لم يقل هذا لكل إنسان بل للذين يخدمونه خدمة صالحة بجهاد وإيمان ، أى أن الذين يعيشون بالتقوى من جهته يُضطهدون][٤] .

« **عالمين أن امتحان ايمانكم ينشىء صبرا** » ع ٣ .

سر الفرح أن التجارب مهما اشتدت هى بالنسبة للمؤمن الحقيقى امتحان ... هذا الامتحان يُعين الإنسان أن يكون له صبر ، إذ يتشبه بالرب يسوع.

ويلاحظ أن الصبر هنالايحمل المعنى السلبى الذى فيه يستسلم الإنسان بخنوع أو يخضع للألم بشجاعة بشرية وكبت على حساب أعصابه ، فإن هذا حتماً يدفع إلى الانفجار ، وإنما الصبر هنا يعنى الجانب الايجابى ... الصبر المملوء حباً ... حيث يرمى الإنسان بآلامه على الرب المتألم بفرح فى حب ورضى ... بل يسعى هو بنفسه للألم لأن خلاله يتمثّل بالرب المتألم .

« **وأما الصبر فله عمل تام** » .

التجربة فى ذاتها مرة ، لكن الصبر الذى تنشئه له غاية كاملة وهى : « **لكى تكونوا تامين وكاملين غير ناقصين فى شىء** » ع ٤ .

١ ــ **نكون تامين** أى ناضجين روحياً ... فكما أنه لايكفى لزراعة شجرة أن نلقى البذرة ونرويها ونعتنى بها لكن مع اهتمامنا بها يلزم أن نصونها من الرياح فى بدايتها ثم نعرضها لها قليلا قليلا حتى تنضج ، هكذا لايكفى أننا نؤمن بالمصلوب وإنما يلزمنا بعد ولادتنا بالمعمودية أن نشترك مع الرب فى آلامه حتى ينمو فينا الإنسان الجديد وينضج يوماً فيوماً فى رجولة روحية .

ويُشبّهنا **القديس يوحنا ذهبى الفم** بالطفل الذى يتعلم المشى ... فان المربية تمد يديها وتمسك بيديه وتسير به قليلاً قليلاً ، وفى خلال سيره تترك يديه إلى حين . قد يبكى ، وقد يسقط ، لكن قلبها وعينيها وكل أحاسيسها معه ! هكذا يمسك الله بيدينا ويترفق بنا ، لكن لابد أن يسحب يده قليلاً دون أن يتخلى عنا . يسمح لنا بالتجارب لكى نتدرب فى طريق الرجولة الروحية .

لذلك كتب **العلامة ترتليان** إلى المتألمين المسجونين بسبب الإيمان يقول لهم : [أيها الطوباويون إحسبوا كل ما يصيبكم **تداريب للتقوية** حتى تنالوا إكليلا أبدياً ملائكياً ، فتصيروا سكاناً للسماء ممجدين إلى الأبد ...

إن سيدكم يسوع المسيح الذى مسحكم بروحه وقادكم إلى حلبة المصارعة (للتدريب) يرى أن هذا مفيد لكم ... فيُلزمكم بتداريب قاسية لتنموا روحياً ... **فالفضيلة تُبنَى فينا بالجهاد وتزول وتتحطم بالإنزلاق فى الشهوات**][٥].

٢ ـــ **كاملين وغير ناقصين فى شىء** ... أى ليس فقط تامين ، ولكن هذا النضوج يشمل كل جوانب الحياة الروحية .

حقاً فى أشياء كثيرة نعثر جميعنا (يع ٣ : ٢) ، لكننا كأولاد لله قدر ما نخضع لمدربنا الرب يسوع مجاهدين نسمع كلمات الرسول « بعدما تألمتم يسيراً هو يكملكم ويثبتكم ويقويكم ويُمكِّنكم » ١ بط ٥ : ١٠ .

كيف نحتمل التجربة ؟

أولا : باقتناء الحكمة السماوية

« ان كان أحد تعوزه حكمة فليطلب من الله الذى يعطى الجميع بسخاء ولا يعير فسيعطى له » ع ٥ .

بالحكمة السماوية يقف الإنسان على إرادة الله ويدرك مواعيده للصابرين إلى المنتهى فيفرح بالتجارب كمن وجد غنيمة . لهذا لا نكف عن طلبها قائلين « هب لى الحكمة الجالسة إلى عرشك ولا ترذلنى من بين بنيك . فإنى أنا عبدك وإبن أمتك إنسان ضعيف قليل البقاء وناقص الفهم » حك ٩ : ٥ ، ٦ .

وانه « **يعطى الجميع** » أى يهب كل من يطلب ، لأنه لا يحابى أحداً . وهو يعطى بسخاء ، أى بفيض ، مجاناً بلا قيد ولا شرط . يقدم ولا يعيِّر ، لأنه أب ، والأب يفرح بعطائه لإبنه كل شىء ... لكن لماذا لا ننال أحياناً ؟

ليس السبب فى الله بل فينا نحن الذين توقّف فيض عطاياه علينا بسبب عدم إيماننا لذلك يقول الرسول « **ولكن ليطلب بايمان** » . وكما يقول **الأب اسحق** : [لأنه هكذا تستجاب صلاة الإنسان عندما يؤمن أن الله مهتم به وقادر أن يعطيه سؤاله ، إذ لا يخيب قول الرب « كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم » مر ١١ : ٢٤][٦] .

ليطلب الحكمة « **غير مرتاب البتة** » أى من غير أن ينقسم قلبه بين التجائه إلى الله واهب الحكمة واعتماده على حكمته الذاتية ، أو بين محبة الله ومحبة الأمور الزمنية .

« **لأن المرتاب يشبه موجا من البحر تخبطه الريح وتدفعه** » ع ٦ فيكون كالموجة التى تندفع بفعل الريح على الصخر فتصير رذاذاً .

« **فلا يظن ذلك الانسان أنه ينال شيئا من عند الرب(ع ٧). رجل ذو رأيين متقلقل فى جميع طرقه** » ع ٨ .

وكما يقول **القديس يوحنا كاسيان** : [قد تأكد تماما أن صلاته لن تستجاب ! من هو هذا البائس ؟ الذى يصلى ولا يؤمن أنه سيحصل على جواب ! »[٧] .

ثانياً : باقتناء الاتضاع

الحكمة السماوية تنزع عن الإنسان ذاتيته ، فيختبر الاتضاع الحقيقى . إذ ينحنى منسحقاً يلتصق بصليب الرب ، فيرتفع مبتهجاً غالباً بقوة القيامة . لذلك يقول الرسول « **وليفتخر الأخ المتضع بارتفاعه** » ع ٩ .

« **وأما الغنى فباتضاعه** » .

يوجه حديثه هنا للغنى ، دون أن يقول « الأخ » حتى لايظنوا أنه يداهنهم بسبب غناهم . أنه يجدر به ألا يفتخر بغناه بل باتضاعه . بهذا يقدر أن يحتمل التجربة ! .

ثالثاً : ادراك زوال العالم :

إذ يدرك المؤمن حقيقة غربته على الأرض يرتفع نظره إلى حياة أفضل محتملا كل ألم وتجربة بغير تذمر . إذ كل ما فى هذا العالم يزول .

« **لأنه كزهر العشب يزول(ع ١٠). لأن الشمس أشرقت بالحر فيبَّسَتْ العشب فسقط زهره وفنى جمال منظره . هكذا يذبل الغنى فى طرقه(ع ١١)** ».

تأثر الرسول بالمنظر الساحر الذى فى تلك البقاع حيث تغطى أزهار شقائق النعمان منحدرات التلال فى الصباح ، لكن ما أن تظهر الشمس وتهب الرياح الحارة حتى تجف وتُجمع للوقود . وقد استخدم أشعياء نفس التشبيه (٤٠: ٦، ٧)، وكذلك أيوب (١٤ : ٢) .

ان الشمس التى تهبُ حياة للزروع تُفنى جمال زهر العشب ، هكذا شمس التجارب التى تزيد المؤمن بريقاً ، تُهلك المتكلين على غناهم فيذبلون فى طرقهم .

إذاً ليرفع الأغنياء أنظارهم إلى السماويات بدلا من أن ينشغلوا بجمال زهر عشب الغِنَى الذى سرعان ما يذبل ، وبهذا تتحول تجاربهم إلى موضوع كل فرح .

« طوبى للرجل الذى يحتمل التجربة لأنه إذا تزكى ينال اكليل الحياة الذى وعد به الرب للذين يحبونه » ع ١٢ .

وإذ يرتفع نظرنا إلى السمويات ثاركين الغِنَى الزمنى نشتهى الدخول فى مدرسة التجارب العملية .

وإذ نتخرج فيها نعلن حبنا لله فننال « إكليل الحياة » الذى هو نصيب المحبين .

إنها تُخرِّج رجالا فى الروحانية ، لذا يقول الرسول « طوبى **للرجل** ... » لذلك تاق الآباء إليها :

فيقول **الأب تادرس** : [كم هى نافعة تلك التجارب والآلام التى يحسبها البعض شريرة ، فلا يحاول القديسون تجنُّبها بل بالحق يطلبونها بكل قوتهم ، محتملين إياها بشجاعة ، وبهذا يصيرون أحباء لله ، ويحصلون على إكليل الحياة الأبدية ... ويتغنى الرسول الطوباوى قائلا « أُسر بالضعفات والشتائم والضرورات والضيقات لأجل المسيح . لأنى حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوى » ٢ كو ١٢: ١٠][٨].

ويقول **القديس اغسطينوس** [إن كنتَ ذهباً فلماذا تخاف النار ، فإنه فى الكور يحترق الزغل وتخرج أنت نقياً ؟! وإن كنت حنطة فلماذا تهاب الدارس ، مع أنك لا تظهر على ما أنت عليه إلا به حيث يُنتزع عنك « التبن » ويظهر أصلك وشرفك ؟!] .

٣ ــ التجارب الداخلية

« لا يقل أحد إذا جرب انى أجرب من قبل الله لأن الله غير مجرب بالشرور وهو لا يجرب أحداً » ع ١٣ .

بحثت الفلسفات كثيراً عن مصدر الشر فنادى البعض بوجود إلهَيْن ، أحدهما علة الخير والآخر علة الشر[٩] ... وآخرون نادوا أن الله علة الخير والشر .

والشر هنا لايعنى ما قد يحل بنا من تجارب أو كوارث أو ضيقات ، بل الخطية والظلمة ... الأمر الذى لا يتفق مع طبيعة الله كلىّ الصلاح الذى فيه كمال مطلق . وهنا يقطع الرسول بأن الله غير مُجرب بالشرور وبالتالى لا يجرب أحداً .

حقاً قيل عن الله انه يجلب شراً[١٠] ، وهذا كقول **القديس اغسطينوس** من قبيل حب الله أن يحدثنا بلغتنا قدر فهمنا ، فهو يجلب التأديب الذى نسميه شراً لخيرنا .

أما الشر أى الخطية فلا يحرضنا الله عليها ، بل ولم يخلق فينا عواطف أو دوافع أو طبيعة شريرة ، بل كل ما خلقه فينا هو حسن جداً . ونحن بإرادتنا فى شخص آدم انحرفنا بما هو حسن لنشبعه بما هو ليس حسن .

فالحواس والعواطف والدوافع كلها بلا استثناء يمكن أن توجه كطاقات للخير متى سلمت فى يد الله ، وكطاقات للشر متى نُزعت عنا نعمته[١١] ...

إذن الله لايجربنا بالشرور ، إنما يسمح لنا بالتجارب الخارجية لامتحاننا .

يقول **البابا ديوناسيوس الاسكندرى** : [ربما تقول : ما هو الفرق بين كون الإنسان يُجرب وبين سقوطه فى تجربة أو دخوله فيها ؟

حسناً ! متى انهزم إنسان بالشر ، ساقطاً بسبب عدم جهاده دون أن يصونه الله بدرعه ، نقول أنه دخل فى تجربة وسقط فيها وصار أسيراً تحتها . أما من يثبت ويحتمل فهذا الإنسان يكون مجرَّباً وليس داخلا تجربة أو ساقطاً فيها .

هكذا إقتاد الروح السيد المسيح لا ليدخله فى تجربة بل ليجربه الشيطان (مت ٤ : ١) .

ابراهيم أيضاً لم يُدخله الله فى تجربة بل جربه ...

والرب جرب (إمتحن) تلاميذه ...

هكذا عندما يجربنا الشرير يجذبنا إلى الشر لأنه « مُجرب بالشرور » . أما الله فعندما يجربنا (يمتحننا) يسمح لنا بالتجارب بكونه غير مجرب بالشرور .

الشيطان يجذبنا بالقوة بقصد إهلاكنا ، والله يقودنا بيده ويدربنا لأجل خلاصنا][١٢] .

إذن الشر ليس مصدره الله . فلماذا نسقط فى الشر ؟

« لكن كل واحد يجرب اذا انجذب وانخدع من شهوته (ع ١٤). ثم الشهوة اذا حبلت تلد خطية والخطية اذا كملت تنتج موتا » ع ١٥ .

١ ــ **الانجذاب والانخداع** : يقوم عدو الخير بإثارتنا بمثيرات داخلة وخارجية كثيرة بلا حصر : من لذات جسدية وملذات العالم وكراماته وأحزانه ...

هذه المثيرات مهما اشتدت ليست لها قوة الإلزام بل الخداع لكيما يخرج الإنسان من حصانة الله ويفلت من بين يديه منجذباً ومنخدعا وجارياً وراء الخطية .

يؤكد ربنا يسوع المسيح قائلا « خرافى تسمع صوتى ... ولا يخطفها أحد من يدى يو ١٠ : ٢٧ ، ٢٨ ، أى لا توجد قوة مهما بلغت يمكن أن تخطف نفس المؤمن الذى يسمع لصوت الرب ويتبعه ، أما إن امتنع المؤمن عن الاستماع لصوت الرب وقَبِلَ باختياره الإنصات إلى صوت آخر ، للحال ينخدع وينجذب من دائرة الرب إلى دائرة الخطية .

من يُقبِل إلى الرب لا يخرجه خارجاً (يو ٦ : ٣٧) ، إذ هو الباب إن دخل به أحد يخلص ويجد مرعى (يو ١٠ : ٩) ، ولكن إن شاء الخروج عن الرب فلا يلزمه الرب بالبقاء ، عندئذ ينطلق من عناية الله تجاه خداعات العدو .

ب ــ الحبل : يُشبّه الرسول الشهوات بامرأة زانية تجذب إليها الإنسان وتخدعه ... وإذ يقبلها ويتجاوب معها يتحد بها فتحبل . « ثم الشهوة إذا حبلت ... » أى تكون كالجنين الذى ينمو يوماً فيوماً ... الذى هو الخطية .

حـ ــ الولادة : وإذ يكتمل نمو الجنين تلد إبنا هو « الموت » ، لأن الخطية تحمل فى طياتها جرثومة الموت .

هذه المراحل الثلاث تحدَّث عنها كثير من الآباء ... لذلك يطالبوننا أن نصارع الخطية فى طورها الأول وهى تحاول أن تخدع حيث لا سلطان لها علينا ويمكننا برشم علامة الصليب وبصرخة خفيفة داخلية تجاه الرب أن نتخلص منها .

أما إذ تركنا الخطية لتتعدى الطور الأول إلى الثانى حيث نقبلها ونرضيها ... فان إرضاءنا لها ــ مهما كان اغراؤها ــ هو بإرادتنا ونحن مسئولون عنه .

هذا ما يؤكده **القديس مرقس الناسك**[١٣] مؤكداً أنه لايمكن أن تسيطر علينا خطية فجأة ، لكن إما أننا سبق أن قبلناها بإرادتنا ، أو قبلنا خطية مشابهة لها أو باعثة لها . فمثلا لا تسيطر أفكار شهوة على إنسان عفواً اللهم إلا إذا كان قد سبق أن ترك لأفكاره العنان بإرادته يتلذذ بها ، أو سقط بإرادته فى الكبرياء والعجرفة وحب الظهور الذى يُولّد السقوط ، أو سقط فى الغضب بإرادته حيث تنزع عنه نعمة الله ، أو أتخم معدته وتلذذ بالنّهم ...

إذن يليق بنا أن ندرك مراحل الخطية الثلاث (الانجذاب لها ، التلذذ بها ، تنفيذها) حتى نحاربها بالرب يسوع منذ بدايتها ... وهذا أكثر آمانا لنا .

وقد تحدث **القديس اغسطينوس**[١٤] عن هذه المراحل الثلاث فقال :

[الخطية تكمل على ثلاث مراحل :

(ا) إثارتها (الانجذاب لها والانخداع بها)[١٥] .

(ب) التلذذ بها (الحبل بها) .

(جـ) ارضاؤها (الولادة) .

فالاثارة تحدث عن طريق الذاكرة أو الحواس كالنظر أو السمع أو الشم أو التذوق أو اللمس .

فإن نتج عن هذا **لذة** لزم ضبطها ، فلو كنا صائمين فبرؤيتنا للطعام تثور شهوة التذوق ، هذه الشهوة تنتج لذة .

فعلينا **ألا نرضيها** بل نضبطها إن كان لعقلنا ـــ الذى يمنعنا من ارضائها ـــ السيادةُ . أما إذا أرضيناها فستكون الخطية قد كملت فى القلب فيعلم بها الله ولو لم يعلم بها البشر .

إذن هذه هى خطوات الخطية :

تتسلل الإثارة بواسطة الحواس الجسدانية كما تسللت الحية فى إثارة حواء ، لأنه حيث تسربت الأفكار والتصورات الخاطئة إلى نفوسنا تكون هذه تابعة من الخارج من الحواس الجسدية . وإن أدركت الروح أى إحساس خفى عن غير طريق هذه الحواس الجسدية ، كان هذا الإحساس مؤقتاً وزائلا ، فتتسلل هذه التصورات إلى الفكر فى دهاء الحية ...

وكما أن للخطية مراحل ثلاث أى الإثارة واللذة والإرضاء ، هكذا تنقسم الخطية إلى ثلاثة أنواع :

(ا) خطية فى القلب (لم تنفذ عملياً) .

(ب) خطية بالعمل .

(جـ) خطية كعادة .

وهذه الأصناف الثلاثة تشبه ثلاثة أموات :

(ا) الميت الأول كما لو كان فى المنزل ولم يُحْمَل بعد ، وذلك عند إرضاء الشهوة فى القلب (وهو صبية صغيرة) .

(ب) الميت الثانى كما لو كان قد حُمِل خارج المنزل ، وذلك عندما يبلغ الرضا حد التنفيذ (وهو شاب أكبر من الصبية) .

(جـ) الميت الثالث كما لو كان فى القبر قد أنتن ، وذلك عندما تكون الخطية قد بلغت حد العادة (وهو رجل أكبر من الشاب) .

ونرى فى الإنجيل أن الرب أقام هذه الأنواع الثلاثة من الأموات مستخدماً عبارات مختلفة عند إقامتهم . ففى الحالة الأولى قال « يا طبيثا قومى » مر ٥ : ٢٣ . وفى الثانية « أيها الشاب لك أقول قم » لو ٧ : ١٤ . وأما فى الثالثة فقد انزعج بالروح وبكى وبعد ذلك صرخ بصوت عظيم « لعازر هلم خارجاً » يو ١١ : ٣٣ ــ ٤٤] .

٤ ــ الله أبونا لايهب إلا الصلاح

« لا تضلوا يا اخوتى الاحباء (ع ١٦) كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هى من فوق نازلة من عند أبى الانوار » ع ١٧ .

فى كل مرة نصلى نقول « فلنشكر صانع الخيرات ... » لأننا لا نعرف مصدراً للخيرات غير الله .

وهنا يحذرنا الرسول ألا نضل ، فنظن أنه يمكن أن يصدر عن الله غير الخير والصلاح ، أو نحسب أننا نقدر أن ننال صلاحاً بطريق آخر غير الله .

نَسَبُ الشر إلى الله ضلال ، لأن الله ، « أب الأنوار » .

وطلب الصلاح من غير الله ضلال ، لأنه هو « أب » لا يقبل أن يلتجىء أولاده الى أب غيره !

إذن كل عطية صالحة أى لخيرنا ، وكل موهبة تامة مُقدَّمة كهبة مجانية ليس فيها عيب أو نقصان هى من فوق نازلة . أى هناك فيض مستمر من السماء تجاه البشر ، من الأب نحو أولاده .

وكما يقول **الأب شيريمون** : [أن الله يبدأ معنا ما هو صالح ، ويستمر معنا

فيه ، ويكمله معنا . وذلك كقول الرسول « والذى يُقدِّم بذاراً للزارع وخبزاً للأكل سيقدم ويكثر بذاركم وينمى غلات بركم » ٢ كو ٩ : ١٠ .

هذا كله من أجلنا نحن ، لكى باتضاع نتبع يوماً فيوماً نعمة الله التى تجذبنا . أما إذا قاومْنا نعمته برقبة غليظة وآذان غير مختونة (أع ٧ : ٥١) ، فإننا نستحق كلمات النبى أرميا القائل « هل يسقطون ولا يقومون ؟! أو يرتد أحد ولا يرجع ؟! فلماذا ارتد هذا الشعب فى أورشليم ارتداداً دائماً . تمسكوا بالمكر . أَبَوْا أن يرجعوا ؟! » أر ٨ : ٤ ، ٥][١٦] .

ويؤكد الرسول أنها من عند « **أبى الأنوار . الذى ليس عنده تغيير ولا ظل دوران** » .

وكما يُدْعى إبليس أب الأشرار (يو٨:٤٤) ، يُدعَى الله « أب الأنوار » أى القديسين النورانيين أو الملائكة .

انه النور الحقيقى وواهب النور . إنه ليس كالشمس المنظورة التى تعكس نورها على الكواكب الأخرى ، لكنها تتغير ويأتى اليوم الذى فيه تزول ، إنما هو شمس البر الذى ليس عنده تغيير ولا ظل دوران !

أب ينير أولاده ، وأبوته المنيرة ثابتة لا تَتناقص ، يجذب أولاده إليه ليستنيروا منه ... كيف يتم ذلك ؟

خلال أشعة محبته المعلنة فى عطاياه الزمنية والروحية يجذب أنظارنا وينير عقولنا ، فنراه ونعشقه ، وعندئذ لا ننشغل حتى بعطاياه الصالحة ومواهبه التامة إنما نقول له مع **القديس اغسطينوس** : [وقبل هذه الاعمال الجسدية أعمالك الروحية التى هى سماوية ومتلألئة هكذا ... لكننى جُعتُ إليك ، وعطشتُ لك ... لك أنت بذاتك أيها الحق « الذى ليس عنده تغيير ولا ظل دوران][١٧].

إن عطية واحدة خلال كل عطاياه التى بلا حصر ومواهبه التامة يلزم ألا تفارق ذهننا أبداً وهى عطية **الميلاد الجديد** الذى نلناه بالمعمودية ، فصرنا له أولاداً وهو أب لنا ، إذ :

« شاء فولدنا بكلمة الحق لكى نكون باكورة من خلائقه » ع ١٨ .

يا لها أشرف عطية أننا بالرب يسوع « كلمة الحق » الذى مات عنا بالجسد وقام ووهبنا بروحه القدوس أن نولد لله والكنيسة ولادة جديدة روحية بالمعمودية .

بهذه الولادة يجدر بنا أن نرتبط بالرب يسوع « البكر » ، فنصير نحن أيضاً « باكورة من خلائقه » .

وكما كان الله يُلزم عابديه أن يقدموا له البكور وأوائل الثمار مخصصة له ، معتبراً أنهم بذلك قدموا كل الثمار له ... هكذا يقبلنا الله كباكورة من خلائقه ، محفوظين ومخصصين لله (عب ١٢ : ١٣) ، وبهذا نرتبط بكنيسة الأبكار مكتوبين فى السموات .

هكذا انتقل بنا يعقوب الرسول من الحديث عن التجارب الخارجية كمصدر فرح وتطويب للصابرين إلى الجهاد ضد التجارب الداخلية أى التحفظ من الخطية ثم عناية الله بنا وتقديم كل إمكانية لنا معلناً حبه فيما وهبنا إياه أن نكون أولاداً له ... لكن ما موقفنا نحن كأولاد لله ... هذا يحدثنا عنه الرسول بطريقة عملية .

٥ ــ موقفنا كأولاد لله

أولا : الاسراع فى الاستماع

« اذاً يا اخوتى الأحباء . ليكن كل انسان مسرعا فى الاستماع » ع١٩ .

يترجم البعض عبارة « إذاً يا اخوتى الأحباء» ، بـ: «أنتم تعرفون هذا . ولكن يا إخوتى الأحباء ... » .

كأن ما قد سبق أن تحدث به هو أمر يعرفه المؤمنون ، كتبه الرسول من أجل التذكرة فقط ، وإنما يطلب أن نَتَنَبّه إلى واجبنا العملى والتزامنا كأولاد لله .

وأول واجب نلتزم به هو أننا إذ (ولدنا بكلمة الحق) بالمعمودية يليق بنا ألا نفارق « كلمة الحق » بل نسرع دوماً للجلوس عند أقدام الرب يسوع « كلمة الحق » مع مريم أخت لعازر مُنْصِتين إلى حديثه العذب المملوء حباً .

هذا هو واجبنا ... وهذا أيضاً هو حقنا ... وهذا هو نصيبنا الذى لن يُنزَع منا إلى الأبد ، أن نجلس متضعين عند أقدام الرب يناجينا ونناجيه ...

حقاً ما أصعب على الإنسان فى وسط دوامة هذه الحياة ، أن يهرب ! يهرب من أجل نفسه التى هى أغلى ما عنده ، لكى يخلع عنه كل اهتمام واضطراب مُنصِتاً بكل جوارحه لعريس نفسه ، هذا الذى يبعث صوته فى داخل النفس سروراً وفرحاً وتبتهج عظام الإنسان لكن فى اتضاع وانسحاق وليس فى كبرياء وعجرفة[١٨] .

ثانياً : مبطئا فى التكلم

إذ يسرع الإنسان للإنصات إلى كلمة الحق يتشرب روح أبيه الذى لا يشهد للحق بكثرة الكلام بل بالعمل ... وبهذا نتفهم الوصية « فليضىء نوركم هكذا قدام الناس لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات » مت٥ .

حسن للإنسان أن يشهد للحق ... لكن كثرة الكلام والتسرع فيه يكشفان عن نفس خائرة ضعيفة تخفى ضعفها وراء المظهر ، من أجل هذا يوصى الحكيم قائلا «أرأيت إنساناً عجولاً فى كلامه؟ الرجاء بالجاهل أكثر من الرجاء به» أم٢٩ : ٢٠ .

ويقول **القديس ارسانيوس معلم أولاد الملوك** : [كثيراً ما تكلمت وندمت وأما عن الصمت فما ندمت قط][١٩] .

وكشف لنا **مار اسحق**[٢٠] مفهوم الصمت أنه ليس مجرد إمتناع عن الكلام بل هو حديث سرى مع الرب يسوع ، لذلك نصح الراغبَ فى الصمت أن يقتنى ثلاث خصال : خوف الله ، صلاة دائمة ، عدم انشغال القلب بأى أمـــر .

كما يقول أيضاً : [من يريد أن يلازم السكوت من غير أن يقطع علل الآلام فهو أعمى] .

إذن كما يقول الكتاب « للسكوت وقت وللتكلم وقت » جا ٣ : ٧ ، فهناك ثلاثة أنواع للسكوت وثلاثة أنواع للكلام :

١ ــ الصمت المقدس وهو أن يصمت الفم ليتكلم القلب مع الله .

٢ ــ الصمت الباطل وهو أن يصمت الفم دون أن ينشغل القلب بالله .

٣ ــ الصمت الشرير وهو أن يصمت الفم وينشغل الداخل بالشر .

١ ــ الكلام المقدس : وهو الحديث الذى يقول عنه **القديس باسيليوس الكبير** : [يُظهر رائحة بخور تدبيرنا الداخلى المملوء حكمة][٢١] . أى يتكلم الإنسان فيما هو لبنيان نفسه وبنيان الآخرين .

٢ ــ الكلام الباطل : وهو الحديث الذى ليس للبنيان وبلا معنى ، وهذا نعطى عنه حساباً (مت ١٢ : ٣٦) .

٣ ــ الكلام الشرير : الذى يهدم النفس ويهدم الآخرين .

من أجل هذا يقول **الاب بيمين** : [أن الصمت من أجل الله جيد كما أن الكلام من أجل الله جيد][٢٢] .

ثالثاً : « مبطئ فى الغضب . لأن الانسان لايصنع بر الله » ع ٢٠ .

دُعِىَ الله بطويل الأناة وبطىء الغضب ، لهذا يجدر بأولاده أن يتشبهوا بأبيهم فلا يطلبوا الانتقام ولا ينفعلوا ... بل فى طول أناة يترفقوا بالجميع .

فغضب الإنسان لا يصنع بر الله ، وكما يقول **القديس اغسطينوس** أن الإنسان مهما ارتكب من خطية يستطيع فى نفس اللحظة أن يقف نادماً ويشعر بمحبة الله طويل الأناة ، لكن فى لحظات الغضب لايقدر الإنسان أن يقف للصلاة ، بهذا يحرم نفسه من بر الله .

ويقول أيضاً : [لا تظنوا أن الغضب أمر يستهان به ، إذ يقول النبى « تعكرت (ذبلت) من الغضب عيناى » مز ٦ : ٧ ، وبالتأكيد لايقدر مُتَوَعِّكُ العينين أن يعاين الشمس ، وإن حاول رؤيتها تؤذيه ولا تبهجه][٢٣] .

ويوضح لنا **يوحنا كاسيان**[٢٤] خطورة الغضب فيقول :

[يجب أن نستأصل سم الغضب المميت من أعماق نفوسنا .

فطالما بقى الغضب فى قلوبنا وأعْمَى بظلمته المؤذية عين الروح (القلب) لا نستطيع الحصول على التمييز والحكم السليم ، ولا نستطيع أن ننال/ النظرة الداخلية الصادقة أو المشورة الكاملة ، ولا أن نكون شركاء للحياة أو نحتفظ بالبر ، أو حتى يكون لنا المقدرة على النور الروحى الحقيقى « تعكّرت من الغضب عيناى » مز ٦ : ٧ .

ولا نستطيع أن نصير شركاء للحكمة ولو وُجِد حكم جماعى بأننا حكماء ، لأن « الغضب يستقر فى حضن الجهلاء » جا ٧ : ١٠ .

ولا نستطيع أن ننال الحياة غير المائتة ، لأن الغضب يُهْلِك حتى الحكم ، راجع أم ١٥ .

ولا نقدر أن نحصل على القوة الضابطة للبر حتى لو ظن البشر فينا أننا كاملون وقديسون ، لأن « غضب الإنسان لا يصنع بر الله » .

كما لا نستطيع نوال الوقار والكرامة التى تُعطَى حتى فى العالميات ، ولو ظنوا بنا أننا نبلاء وذوو شرف ، لأن « الرجل الغضوب يحتقر » أم ١١ : ٢٥ .

ولا يمكن أن تكون لنا مشورة صالحة ... « لأن السريع الغضب لايعمل بالحق » أم ١٤ : ١٧ .

ولا نستطيع التحرر من أى اضطرابات خطيرة أو نكون بلا خطية ، ولو لم يسبب لنا أحد اضطراباً ... « لأن الرجل الغضوب يهيج الخصام ، والسخوط كثير المعاصى » أم ٢٩ : ٢٢][٢٥] .

رابعاً : مقتلعا بذار الشر غارسا بذار كلمة الله

« لذلك اطرحوا كل نجاسة وكثرة شر فاقبلوا بوداعة الكلمة المغروسة القادرة أن تخلص نفوسكم » ع ٢١ .

إذ يحدث الرسول يعقوب الذين وُلِدوا « بكلمة الحق » لهذا يوجه أنظارهم إلى « **كلمة الحق** » القادرة أن تأتى فيهم بثمر كثير .

ولكى تمتلىء حياتهم بكلمة الحق ويتجاوبوا معها يَلْزم أن تتم فى داخل قلوبهم عمليتان متلازمتان بل هما عملية واحدة لها جانبان ، وهى عملية طَرْح النجاسة وَبَذْرِ كلمة الله . فبالولادة الثانية صرنا أبناء الله ويسيرّ الميرون حل الروح القدس فينا ، وصار لنا بالروح القدس أن نُفرِغ من قلبنا كل ما هو ليس حقاً (النجاسة) ليملك فينا ما هو حق (كلمة الله) .

من أجل هذا توصى الكنيسة الإثيين[٢٦] قائلة « إزرعوا فيهم الخصال الجميلة . إزرعوا فيهم الطاعة والمحبة والطهارة . إزرعوا الرحمة والصدقة والعدل . إزرعوا فيهم التقوى والصبر والصلاح ...

إذن لنطرح عنا كل نجاسة ، وربما قُصِدَ بها هنا الغضب السابق ذكره .

ولا نقف عند طرح كل روح الغضب بل لنقبل فى وداعة كلمة الله المغروسة القادرة . هذه الكلمة هى البذار التى تأتى بثمر كثير .

نلاحظ أن الرسول يُحَدِث أناساً مؤمنين ومُعَمَّدين ومع ذلك يقول « قادرة أن تخلص نفوسكم » ولم يقل « خلصت نفوسكم » ، لأن الخلاص أمر مستمر يعيش فيه المؤمن كل أيام غربته ، وليس أمراً حدث وانتهى .

وكأن الرسول ينصحنا أن نخضع بروح الوداعة ، لا العجرفة ، لكلمة الله ، لأنه يلزمنا أن نثابر كل أيام غربتنا حتى لا نفقد الطريق .

هذا الخضوع يلزم أن يكون عملياً وليس مجرد حفظ أو استماع نظرى للكلمة إذ يقول الرسول « **ولكن كونوا عاملين بالكلمة لا سامعين فقط خادعين نفوسكم** » ع ٢٢ .

« لأنه ليس الذين يسمعون الناموس هم أبرار عند الله بل الذين يعملون بالناموس هم يبررون » رو ٢ : ١٣ . وقد شبه الرب السامعين غير العاملين برجل جاهل يبنى بيته على الرمل فتهب الرياح وتسقط الأمطار فيسقط ويكون سقوطه عظيماً (مت ٧ : ٢٦ ، ٢٧) ، ويشبهه الرسول بالآتى :

« **لأنه ان كان أحد سامعا الكلمة وليس عاملا فذاك يشبه رجلا ناظر**

وجه خلقته فى مرآة (ع ٢٣). فإنه نظر ذاته ومضى وللوقت نسى ما هو » ع ٢٤ .

إنه يشبهه بالرجل الذى ينظر فى مرآة ، ومن شيمة الرجال ألا يمعنوا النظر فيها ، أما أبناء الله فيليق بهم أن يُمعِنوا النظر فى كلمة الله التى هى كالمرآة تكشف لهم ضعفهم ونقائصهم .

وهى أيضاً تُذكّرهم بخلقتهم الروحية الجديدة أى بميلادهم السماوى ، وهذا يبعث فيهم روح الجهاد ويجعلهم يتجاوبون مع الإمكانيات الإلهية الموهوبة لهم . لأنه متى أدرك الإنسان مركزه كابن لله لايكف عن الالتصاق بأبيه ومناجاته متشبثاً بحقوقه للحياة المقدسة .

« ولكن من اطلع على الناموس الكامل ناموس الحرية وثبت وصار ليس سامعا ناسيا بل عاملا بالكلمة فهذا يكون مغبوطا فى عمله » ع ٢٥ .

إذ يُمعِن النظر فى الناموس ناموس الحرية أى الانجيل الذى حررنا بقوة الدم من سلطان الخطية ووَهَبنا حرية الأبناء ، فإنه بهذا تصير كلمة الله بالنسبة له عملية ، فلا يكون سامعاً ناسياً بل ثابتة فيه . فى أعماق نفسه الداخلية .

هذا العمل يَهَبُ لنا عذوبة رغم صعوبة الوصية ، إذ نحمل نيرها لا بتذمر كعبيد أذلاء ، ولا من أجل المنفعة كأجراء ، بل نفرح بها كأبناء يتقبلون وصية أبيهم ، لهذا يكون كل منا « مغبوطاً فى عمله » .

بهذا يقول الإنسان لخالقه « نيرك هيّن وحملك خفيف » رغم ما يجاهد به ويثابر فيه ويتحمله ويتخلى عنه من أجل الرب !

خامساً : « ملجما لسانه »

« ان كان أحد فيكم يظن انه دين وهو لا يلجم لسانه بل يخدع قلبه فديانة هذا باطلة » ع ٢٦ .

فالديانة الحقيقية هى التى تنبع من الداخل ، من القلب ، إذ ، مَجْدُ إبنة

الملك من الداخل » ، والإنسان الصالح من كنز قلبه الصالح يُخرِج الصالحات (لو ٦ : ٤٥) ...

على هذا الأساس ظن البعض أنه لا حاجة لضبط لسانه بدعوى أن قلبه طيب وعبادته بالروح ... لكن الرب الديان يقول « من فضلة القلب يتكلم اللسان » مت ١٢ : ٣٤ .

ويقول **الشيخ الروحانى** : [من يحذر بلسانه لن يسلب كنزه منه إلى الأبد . فم الساكت يترجم أسرار الله . ومن يتكلم بسرعة يبعد عنه خالقه][٢٧] .

ويقول **الاب بيمين** : [من يضبط فمه فإن أفكاره تموت ، كالجرّة التى يوجد فيها حيات وعقارب ، سُدَّ فمها (فوهتها) فانها تموت][٢٨] .

وسأل أخ **شيخا** : [يا أبى انى أشتهى أن أحفظ قلبى .

فقال له الشيخ : كيف يمكنك أن تحفظ قلبك وفمك الذى هو باب القلب مفتوح سايب ؟][٢٩] .

إذن من لا يضبط لسانه يخدع قلبه ، فبينما يظن أنه دَيِّن إذ بديانته باطلة .

سادساً : يرحم اخوته

« الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هى هذه افتقاد اليتامى والأرامل فى ضيقتهم » ع ٢٧ .

لم يقل الرسول « الديانة الطاهرة ... هى الإيمان » إنما كشف عن الجانب العملى ليس تجاهلا أو استهتاراً بالإيمان ، لكن تأكيداً للأعمال المرتبطة بالإيمان .

فإذ يقيم الآب نفسه أباً لليتام وقاضياً للأرامل (مز ٦٨ : ٥) لهذا فإن من كانت ديانته طاهرة يلزمه أن يمتثل بأبيه .

والجميل فى الكنيسة الأولى أنها اهتمت **بالأرامل** ، إذ أعطت للأرامل اللواتى ينذرن أنفسهن للخدمة مكانة خاصة تلى مكانة العذارى مباشرة ، حتى أن

القديس يوحنا ذهبى الفم عندما أرسل إلى أرملة شابة يعزيها فى زوجها هنأها أنها صارت « أرملة »[٣٠] .

وقد اهتمت الكنيسة بتحويل طاقات هؤلاء الأرامل إلى العبادة أو الخدمة التى تتناسب معهن ، الأمر الذى جعل كثيراً من القديسين كتبوا بفيض عن « الترمل وشروطه وقوانينهن ونظامهن[٣١] » .

سابعاً : « وحفظ الانسان نفسه بلا دنس من العالم » ع ٢٧ .

ونلاحظ أنه بدأ أولا بالترفق بالمتألمين أى اليتامى والأرامل ، لأنه بدون الرحمة بالآخرين كيف نستعين برحمة الله لكى تحفظنا من دنس العالم وشهواته ؟!

إذاً لنرحم فيما هو قليل فيرحمنا الله الكثير .

وإذ يحفظ الإنسان نفسه بلا دنس لا يعطى لإبليس أى حق للملكية فى داخله وبهذا تبقى النفس مقدسة للرب وحده .

\+ + +

الاصحاح الثانى

الإيمان والأعمال

بعدما تحدث الرسول عن موقفنا كأبناء لله عابدين بالحق ، بدأ يوجه النظر فى هذا الأصحاح إلى **أهمية الاعمال للايمان** :

١ ــ الايمان والمحاباة بين العابدين .	١ ــ ٣
أولا : تضاد الله المهتم بالفقراء .	٤ ــ ٥
ثانياً : أكثر الأغنياء يثيرون مشاكل .	٦ ــ ٧
ثالثاً : تملق الأغنياء يكسر الوصية .	٨ ــ ١١
رابعاً : احتقار الفقراء يفقدنا الرحمة .	١٢ــ١٣
٢ ــ الاتكال على الايمان بدون الاعمال .	١٤
أولا : مثالان لايمان ميت .	١٥ــ١٨
ثانياً : مثالان لايمان حى بالاعمال .	٢٠ــ٢٤
ثالثاً : ضرورة تلازم الايمان مع الاعمال .	٢٥

\+ + +

١ ــ الايمان والمحاباة بين العابدين

« يا اخوتى لايكن[٣٢] لكم ايمان ربنا يسوع المسيح رب المجد فى المحاباة » ع ١ .

يلقب الرسول ربنا يسوع المسيح بـ « رب المجد » لكى يرفع أنظار المؤمنين إلى المجد السماوى الحقيقى فلا يحابون الناس على أساس غنى وكرامة ومجد زمنى بل يحبون الكل كإخوة لهم ميراث أبدى مرتبطون بايمان الرب .

خلال هذه الإخوّة يوجه لهم الحديث قائلا «يا إخوتى» مُظهِراً أنه ليس هناك تمييز ومحاباة بل الكل أعضاء لجسد واحد ... هذا هو الإيمان الحى العامل .

وكما يقول **القديس اكليمنضس أسقف روما** : [العظيم لا وجود له بغير الصغير ولا الصغير بدون العظيم ، بل يرتبط بعضنا البعض لأجل نفع الجميع .

لنأخذ الجسد كمثال : فالرأس لايقدر أن يوجد بغير الرجلين ولا الرجلان بغير الرأس « بل بالأولى أعضاء الجسد التى تظهر أضعف هى ضرورية » ١ كو ١٢ : ٢١ ، ٢٢ ، ونافعة للجسد كله . نعم ان الأعضاء كلها تعمل فى وفاق ، وترتبط مع بعضها فى طاعة كاملة لأجل سلامة الجسد كله .

بإتباعنا هذا نحفظ جسدنا المسيحى أيضاً فى كماله ، فيخضع كل منا لصاحبه حسب عطيته الخاصة فيلزم على القوى أن يهتم بالضعيف ، والضعيف يحترم القوى . والغنى يعول الفقير ، والفقير يشكر الله الذى وهبه من يعوله . والحكيم لا يُظهِر حكمته فى كلام بل فى أعمال صالحة . والمتواضع لا يتباهى باتضاعه بل يترك الشهادة له من الغير . والعفيف أيضاً لايفتخر عالماً أن ضَبْطَ نفسه هو عطية من آخر (الله) .

يلزمنا أن نحب الإخوة من القلب ، هؤلاء الذين خلقوا من نفس المادة التى خلقنا نحن منها ...][٣٣] .

الإيمان يلزم ترجمته عملياً فى عمل المحبة الذى يجعلنا نحب الجميع بلا تمييز أو محاباة . وقد كشف الرسول عن علامة المحاباة وخطورتها قائلا :

« فانه ان دخل إلى مجمعكم رجل بخواتم ذهب فى لباس بهى ودخل أيضا فقير بلباس وسخ (ع ٢). فنظرتم إلى اللابس اللباس وقلتم له اجلس أنت هنا حسنا وقلتم للفقير قف أنت هناك أو اجلس هنا تحت موطىء قدمى » ع٣.

كيف لا تكون هناك محاباة بين العابدين إن حدث هذا التمييز ؟

١ ــ تمييز الغنى بالقول له « اجلس أنت هنا حسنا » .

لم يقل الرسول « إن دخل إلى مجمعكم غنى » بل « إن دخل إلى مجمعكم

رجل بخواتم ذهب فى لباس بهى » أى إنسان عليه علامات الغنى والكبرياء . إذ كان بعض الرجال الأغنياء يلبسون خواتم ذهبية كثيرة ويهتمون باللباس البهى الفاخر لنوال الكرامة والمجد الزمنى .

ويكشف الرسول عن روح المحاباة ليس فقط فى تقديم الأغنياء فى أماكن خاصة فى أماكن العبادة بل يقول « ونظرتم إلى اللابس ... » أى أعطيتم لهم أهمية .

ولم يقل « دخل إلى كنيستكم » بل « إلى مجمعكم » ، وربما هذا للتوبيخ إذ لا يليق هذا التمييز بالكنيسة .

٢ ــ احتقار الفقير بأمره بالوقوف أو الجلوس عند أقدام الغنى

يقول **القديس أمبروسيوس** : [ما هو النفع الذى يعود عليك بتكريمك (محاباتك) للغنى؟! هل لأنه أكثر استعداداً لإبقاء محبة الآخرين له ؟ فنقدم المعروف لمن نتوقع منهم أنهم سيوافوننا عنه .

إنه يلزمنا أن نفكر بالأكثر فيما يخص الضعفاء والمحتاجين لأننا بسبب هؤلاء نترجى الجزاء من الرب يسوع ، الذى فى مثال وليمة العرس (لو١٤: ١٢، ١٣) قدم لنا صورة عامة للفضيلة . فقد طلب منا أن نقدم أعمالنا بالأكثر لمن ليس فى قدرتهم ردها لنا][٣٤] .

وخطورة التمييز بين الأغنياء والفقراء هى :

أولا : تضاد الله المهتم بالفقراء

« فهل لا ترتابون فى الأمر وتصيرون قضاة أفكار شريرة (ع ٤) اسمعوا يا اخوتى الأحباء أما اختار الله فقراء هذا العالم أغنياء فى الايمان وورثة الملكوت الذى وعد به الذين يحبونه (ع ٥) أما انتم فأهنتم الفقير » .

وكأن الرسول يقول : هل يحتاج الأمر إلى تفسير أو توضيح ؟! أما تحكم عليكم ضمائركم فى داخلكم من جهة أفكاركم الشريرة هذه ؟!

وكما يقول **القديس أمبروسيوس** : [إن كان ملكوت الله للمساكين فمن هو أغنى منهم ؟!] .

وكما يقول **القديس أغسطينوس** : [الجميع عند الله متساوون ، إنما تسمو منزلة كل واحد منهم حسب إيمانه وليس حسب أمواله] .

هكذا لا يميز الله بيننا حسب غنانا ... بل أعطى اهتماماً بالفقراء من أجل مذلتهم ، واعتبر كل إهانة تلحق بهم مُوجَّهة ضده ، لهذا ينصحنا الكتاب المقدس قائلا « من قدم ذبيحة من مال المساكين فهو كمن يذبح الإبن أمام أبيه » سى ٣٤ : ٢٤ .

من أجل هذا تقف الكنيسة نصيرة للمساكين موبخة الأغنياء الظالمين ، حتى **قال القديس يوحنا ذهبى الفم** :

[إن كثيرين يتهروننى قائلين : أنت دائماً تُضيِّق على الأغنياء ، وهم بالتالى يُضيِّقون على الفقراء .

حسناً ! اننى أضيّق على الأغنياء ، أو بالحرى ليس على الأغنياء بل على **الذين يُسيئون استخدام الأموال** . **فأنا لا أهاجم أشخاصهم بل جشعهم** . فالغنى شىء والجشع شىء آخر ، وجود فائض شىء والطمع شىء آخر .

هل أنت غنى ؟ أنا لا أمنعك من هذا .

لكن هل أنت جشع ؟! إننى أتوَعَّدك ... إننى لن أسكت .

هل تهاجمنى بسبب هذا ؟ إننى مستعد أن يُسْفك دمى ، لكننى أريد أن أمنعك عن أن تخطىء . إننى لا أكُنُّ لك بغضة ، ولا أشنّ عليك حرباً ، إنما أريد أمراً واحداً هو نَفْعُ المستمعين إلىّ .

ان الأغنياء هم أولادى ، والفقراء أيضاً أولادى . **إن رَحَماً واحداً (المعمودية) تمخَّض بهم بشدة** . فالكل هم نسل لمن تمخَّض بهم . فان كنت تكيل الإهانات للفقير . فإننى أتوَعَّدك لأن الفقير فى هذه الحالة لا تحل به

خسارة مثلك . لأنه لا يسقط فى الخطأ بل ما يصيبه من خسارة هو مجرد فقدانه المال أما أنت فكغنى تلحق بك الخسارة فى روحك][٣٥] .

ثانياً : كثير من المشاكل يسببها الأغنياء

« أليس الأغنياء يتسلطون عليكم وهم يجرونكم إلى المحاكم ؟! (ع ٦) أما هم يُجدِفّون على الاسم الحسن الذى دُعِىَ به عليكم ؟! » ع ٧ .

كأن الرسول يقول : لماذا تحابون الأغنياء مع أن أغلب المشاكل تنبعث منهم ؟! .

تَطَلّعوا فان الأمم الوثنيين قَبِلوا الكلمة بإيمان يفرح (أع ١٣ : ٤٨) بينما ثار اليهود الأغنياء مادياً وأغنياء فى الاعتداد بالذات وحب الكرامة الزمنية ضد الإيمان ، إذ يقول سفر الأعمال « ولكن اليهود حركوا النساء الشريفات ووجوه المدينة وأثاروا اضطهاداً على بولس وبرنابا وأخرجوهما من تخومهم » (١٣ : ٥٠) .

وظاهر من قول الرسول « يتسلطون عليكم » ان احترامهم وتملقهم ومحاباتهم للأغنياء لا يقوم على أساس الحب والاحترام بل التملق والمداهنة .

ثالثاً : تملقهم ينافى الناموس

« فان كنتم تكملون الناموس الملوكى حسب الكتاب تحب قريبك كنفسك فحسنا تفعلون (ع ٨) ولكن ان كنتم تحابون تفعلون خطية موبخين من الناموس كَمُتَعَدِّين » ع ٩ .

فلو أن تكريمهم نابع عن الحب لكان فى ذلك تكميل للناموس الملوكى ، وكان عملهم هذا حسناً جداً . لكن إذ الدافع هو المحاباة لذلك فقد انحرفوا وتعدوا الناموس وصار عملهم خطية .

وقد دعا **القديس اكليمنضس الاسكندرى**[٣٦] الذين لا يعملون بالحب ولا يخدمون اخوتهم أنهم غير سالكين فى « الطريق الملوكى » .

لقد دُعِيَتْ « المحبة » بالناموس الملوكى .

١ ــ لأنها شريعة ملكوت السموات وقانونها الذى يسود السماء إلى الأبد .

٢ ــ لأنها الطريق الذى يبلغ بنا إلى ملك الملوك ذاته ، بل هو نفسه « محبة » أى هو « الطريق » .

وقد أوضح لنا الرب أنه بالمحبة يتعلق الناموس والأنبياء (مت٢٢ : ٤٠) « لأن كل الناموس فى كلمة واحدة يكمل : تحب قريبك كنفسك » غلا ٥ : ١٤ .

يقول **القديس اغسطينوس** : [يقول الرسول « المحبة هى تكميل الناموس . فإذا وجدنا المحبة ماذا نحتاج بعد ؟! وإذا خسرنا المحبة أى ربح يمكننا أن نجنيه ؟!

لنتمسك بوصية الرب (يو ١٥ : ١٢) بأن نحب بعضنا بعضاً وبهذا ننفِذّ كل الوصايا] .

إذاً فلنحرص على حفظ الوصية أى محبة القريب حتى لا نكسر الناموس .

« لأن من حفظ كل الناموس وإنما عثر فى واحدة فقد صار مجرما فى الكل (ع ١٠). لأن الذى قال لا تزن قال أيضاً لا تقتل . فان لم تزن ولكن قتلت فقد صرت متعديا الناموس » ع ١١ .

يثير هذا النص تساؤلا : هل كل الخطايا متشابهة ، فمن يقتل عمداً كمن يكذب عن إكراه ؟!

لقد كتب **القديس اغسطينوس**[٣٧] رسالة إلى القديس جيروم يشرح له فيها هذا النص وقد أوضح فيها :

١ ــ ان الخطايا بالعمد مثل القتل عمداً ليس كالهفوات التى تصدر عن ضعف بشرى أو بغير إرادة أو عن جهل . غير أن جميع الخطايا عقابها الموت الأبدى ، وجميع الخطايا لا يمكن التطهير منها إلا بدم السيد السيح .

٢ ــ يقصد الرسول بهذا النص أن خطية « عدم المحبة » والاستهانة بالفقير ومحاباتنا للأغنياء ... يجعلنا نكسر الناموس كله .

ويجدر بنا أن نلاحظ :

١ ــ ان قول الرسول « وإنما عثر فى واحدة » تعنى هنا الاستهانة بها وبالتالى الإستهانة بواضع الوصية .

٢ ــ يريد الرسول منا أن نجاهد ضد الثعالب الصغيرة ، لأن البشر غالباً ما يهتمون بالخطايا التى بحسب نظرهم كبيرة لكنهم لايهتمون بما يحسبونه خطية صغيرة . وبهذا يغلق الرسول باب الخداع الذى تفتحه لنا الخطية لنستهين بها .

٣ ــ هذا لايعنى أن المؤمنين لا يخطئون قط ، وانهم إن أخطأوا ولو عن جهل أو بغير إرادة أو فى ضعف يفقدوا كل شيء ، إنما يوجه الرسول أنظارنا إلى الصليب ، فمهما كانت الخطية يَلزم التوبة عنها .

رابعاً : احتقار الفقراء يفقدنا الرحمة

« هكذا تكلموا وهكذا افعلوا كعتيدين ان تُحاكموا بناموس الحرية (ع ١٢) لأن الحكم بلا رحمة لمن لم يعمل رحمة . والرحمة تفتخر على الحكم » ع ١٣ .

« هكذا تكلموا وهكذا افعلوا » أى ليكن هو موضوع كرازتكم وموضوع سلوككم أن تصنعوا الرحمة مع اخوتكم فتنالوا رحمة يوم الدين .

فإذ نُحاكم بناموس الحرية هكذا نتمتع بالتحرر الأبدى من الكثير ما لم نعتق اخوتنا مما هو قليل وزمنى ، ولا ننتفع بمراحم الله غير المحدودة ما لم نترفق باخوتنا فيما هو محدود .

وقد ضرب لنا الرب مثلا بالعبد الشرير الذى سامحه سيده بعشرة آلاف وزنة أما هو فلم يسامح أخاه فى مئة دينار بل أمسك به وأخذ بعنقه وألقاه فى السجن بوحشية ، فخسر الأول ما قد سامحه به سيده (مت ١٨ : ٢٣ ــ ٣٤) .

يقول **القديس باسيليوس الكبير** : [من أجل أنك لا ترحم الآخرين فلا يصنع بك رحمة . ولأنك أغلقت باب بيتك إزاء المساكين فلا يفتح لك الله باب ملكوته ، وكما أمسكت بالخبز عن البائسين حينما كانوا يطلبونه منك هكذا يمسك الله عنك الحياة الأبدية التى تطلبها .

إنكم ستحصدون ما زرعتم . فإن كنتم قد زرعتم المرارة فستحصدون المرارة وإن زرعتم القساوة فلا تحصدون سوى الأتعاب القاسية والعذابات الهائلة . وإن كنتم قد هربتم من الرحمة تهرب الرحمة منكم وإن رذلتم الفقراء يرذلكم ذاك الذى صار فقيراً حباً فيكم][٣٨] .

٢ ــ الاتكال على الإيمان بدون الأعمال

ويجدر بنا أن نراعى أن الرسول يعقوب كان يُدِّث أناساً مؤمنين إنحرف بعضهم فى سلوكهم تحت دَعْوَى أن دم المسيح يطهر وكافٍ لخلاصهم دون حاجة إلى الجهاد والمثابرة لذلك وجه إليهم الحديث قائلا :

« ما المنفعة يا اخوتى ان قال أحد أن له ايمانا ولكن ليس له أعمال ؟! هل يقدر الايمان أن يخلصه ؟! » ع ١٤ .

لقد سبق أن رأينا أن الأعمال التى يقصدها الرسول يعقوب غير ما قصده الرسول بولس[٣٩] .

فالإيمان وحده لا يقدر أن يخلص ، فحنانيا وسفيرة آمنا بالرب لكن بسبب انحرافهما عن السلوك فى النور هلكا (أع ٥ : ٩) .

ويذكر لنا الرب (مت ٧ : ٢١ ــ ٢٣) من بين الهالكين أناساً مؤمنين بل وأصحاب مواهب ومعجزات لكن إذ ليس لهم أعمال يقول لهم « إنى لا أعرفكم قط إذهبوا عنى يا فاعلى الإثم » .

وإذ تحدث **البابا اثناسيوس الرسولى** عن أهمية الأعمال قال إن الرسول بولس دائماً يبدأ بالحديث عن الإيمان ، ولا نفع لإيماننا بغير أعمال .

يقول **البابا** : [بحق يَلزمنا أن نبحث فى الفكر الرسولى ، لا فى بداية الرسائل بل وفيما جاء بنهايتها وفى صُلبها حيث يورد المعتقدات (الإيمان) والنصائح (الأعمال) ...

وقد استخدم موسى المؤمن ــ خادم الله ــ نفس الطريقة لأنه عندما أذاع كلمات الشريعة الإلهية ، تكلم أولا عن الأمور الخاصة بمعرفة الله ...

(تث ٦ : ٤) وبعدما أشار للشعب عن الله وعلمهم بمن يؤمنون به وأخبرهم عن الله الحقيقى ، عندئذ بدأ يقدم الشريعة الخاصة بالأمور التى بها يكون الإنسان مرضياً لله قائلا « لا تزن . لا تسرق » مع بقية الوصايا .

هكذا بحسب التعليم الرسولى « يجب أن الذى يأتى إلى الله يؤمن بأنه موجود وأنه يجازى الذين يطلبونه » عب ١١ : ٦ .

الآن فانه يُبحث عن الله عن طريق الأعمال الصالحة كقول النبى « اطلبوا الرب ما دام يوجد . إدعوه وهو قريب . ليترك الشرير طريقه ورجل الإثم أفكاره » أش ٥٥ : ٦ ، ٧ ...][٤٠] .

أولا : مثالان لإيمان ميت

١ ــ « ان كان أخ وأخت عريانين ومعتازين للقوت اليومى (ع ١٥) فقال لهما أحدكم امضيا بسلام استدفئا واشبعا ولكن لم تعطوهما حاجات الجسد فما المنفعة (ع ١٦) ؟! هكذا الايمان أيضاً ان لم يكن له أعمال ميت فى ذاته » ع ١٧ .

يشبه الإيمان بغير أعمال بالحنو الكلامى تجاه المتألمين دون محاولة للتنفيذ .

ونلاحظ أن الرسول يقول « إن كان أخ أو أخت » ليظهر مقدار المسئولية تجاهها ، كما يتحدث عن مقدار الضنك الذى بلغاه ، ثم يُحمّل الكنيسة المسئولية إذ يقول « لم تعطوهما » بصيغة الجمع مع أنه سبق فتحدث بصيغة المفرد « أحدكم » .

« لكن يقول قائل أنت لك إيمان وأنا لى أعمال . أرِنى إيمانك بدون أعمالك وأنا أريك بأعمالى إيمانى » ع ١٨ .

يقول **القديس يوحنا ذهبى الفم** : [هل تعليمنا ضعيف ؟ إن كنت مسيحياً آمن بالمسيح . وإن كنت تؤمن به أرنى إيمانك بأعمالك ؟][٤١] .

فالأعمال الحية برهان على وجود الإيمان وحيويته إذ « من ثمارهم تعرفونهم »

مت ٧ : ١٦ ، بل وبرهان على أننا سالكون حسب الولادة الجديدة إذ « بهذا أولاد الله ظاهرون وأولاد إبليس » ١ يو ٣ : ١٠ .

وهى برهان ليس أمام الناس بل ويجازينا الله حسبها ، إذ يجازى كل واحد حسب عمله » مت ١٦ : ٢٧ .

لقد أعلن اللص عن إيمانه بأعماله ، إذ شهد للرب واعترف له فى أحلك اللحظات التى تركه فيها الجميع (لو ٣٩ : ٤١) ... اعترف علناً بلا خجل من صليب الرب ، وشكر واحتمل الألم بلا تذمر ... اعترف أليس هذا عمل ؟!

٢ ــ « أنت تؤمن أن الله واحد حسناً تفعل . والشياطين يؤمنون ويقشعرون » ع ١٩ .

هذا هو المثال الثانى للايمان الميت وهو التشّبه بالشياطين ...

يعلق **القديس اغسطينوس** قائلا : [إنك تمدح نفسك لأجل إيمانك هذا ... حسناً تفعل ! والشياطين يؤمنون ويقشعرون فهل يعاينون الله ؟

إن أنقياء القلب وحدهم هم الذين يعاينونه (مت ٥) ، فمن يقدر أن يقول إن الشياطين نقية القلب ؟ ومع هذا فإنهم يؤمنون ويقشعرون ! لذلك ينبغى أن يكون هناك فارق بين إيماننا وإيمان الشياطين فإيماننا ينقى القلب وأما إيمانهم فيجعلهم مذنبين .

هم يفعلون الشر ومع ذلك يقولون « نحن نعرفك مَنْ أنت إبن (قدوس) الله » لو ٤ : ٣٤ . وهو ما قاله أيضاً بطرس « أنت هو إبن الله » ، فمدحه الرب بينما وبخ الشياطين ...

فأى إيمان هو هذا الذى ينقى القلب إلا الذى عرّفه الرسول بأنه « الإيمان العامل بالمحبة »(٤٢) .

ويقول أيضاً : [هكذا أيضاً عندما تسمع « من آمن واعتمد خلص » مر ١٦ : ١٦ . فبالطبع لا نفهمها على أنه يقصد كل من آمن أيا كان إيمانه

« فالشياطين يؤمنون ويقشعرون » . وكما لا نفهمها على جميع من اعتمدوا فسيمُون (الساحر) رغم قبوله المعمودية إلا أنه لم يكن من السهل أن يخلص ...][٤٣] .

ثانياً : مثالان لإيمان حى بالأعمال

١ ــ « ولكن هل تريد أن تعلم أيها الانسان الباطل ان الايمان بدون أعمال ميت ؟!(ع ٢٠)ألم يتبرر ابراهيم أبونا بالأعمال إذ قدم اسحق ابنه على المذبح ؟! (ع ٢١)فترى أن الايمان عمل مع أعماله وبالأعمال اكمل الايمان (ع ٢٢)وتم الكتاب القائل فآمن ابراهيم بالله فحسب له براً ودعى خليل الله (ع ٢٣)ترون إذاً أنه بالأعمال يتبرر الانسان لا بالايمان وحده (ع ٢٤)» .

إذ يوجه الرسول حديثه إلى إنسان إيمانه باطل بسبب عدم الأعمال لذلك يدعوه « أيها الإنسان الباطل » . وذلك مثل إيمانه الذى بلا عمل .

وقد ضرب لنا مثلا بأب الآباء الذى حُسب له إيمانه براً وقد دُعى صديق الله ، ولكن كيف نال هذا ؟ بالأعمال أكمل إيمانه .

والعجيب أن المثال الذى استخدمه الرسول بولس (رو ٤ : ٣ ، غلا ٣) لتأكيد أهمية الإيمان وحده دون أعمال الناموس هو نفسه المثال الذى استخدمه يعقوب الرسول لتأكيد الأعمال المكملة للإيمان وقد أورد الرسول بولس نفس المثال فى الرسالة إلى العبرانيين مُظهراً الإيمان والأعمال معاً قائلا « **بالايمان** ابراهيم **أطاع** » . كما أكد يشوع بن سيراخ إيمان إبراهيم وأعماله (سى ٤٤ : ٢٠ ، ٢١).

٢ ــ « كذلك راحاب الزانية ايضا أما تبررت بالأعمال إذ قبلت الرسل واخرجتهم فى طريق آخر (ع ٢٥)» .

لقد شهد شعب أريحا بقوة الله (يش ٢ : ٩) لكن لم ينتفع أحد بهذه الشهادة إلا راحاب لأنها ربطت إيمانها بالعمل فصار حياً[٤٤] .

ثالثاً : مثال لارتباط الإيمان بالأعمال

« لأنه كما أن الجسد بدون روح ميت هكذا الايمان بدون أعمال ميت (ع ٢٦)» .

إلى هذه الدرجة يوضح الرسول أهمية الأعمال حتى نسبها كالروح بالنسبة للجسد .

لقد دعاهما البابا أثناسيوس الرسولى بأختين قائلا : [فالإيمان والأعمال هما أختان مرتبطتان ببعضهما البعض .

فمن يؤمن بالرب يكون نقياً ، ومن يكون نقياً فهو مؤمن بالأكثر .

لهذا فمن هو شرير يكون بلا شك ضالاً عن الإيمان ، ومن يترك التقوى يتخلى عن الإيمان الحقيقى .

وكما أنه عندما يساعد الأخ أخاه يصيران حصنين لبعضهما البعض ، هكذا أيضاً الإيمان والصلاح ، إذ ينموان متشابهين مُمسِكَيْن ببعضهما البعض ، فمن يختبر أحدهما يتقوى بالآخر .

لذلك إذ يرغب الرسول فى أن يتدرب التلميذ على الصلاح حتى النهاية وأن يجاهد من أجل الإيمان نصحه قائلا « جاهد جهاد الإيمان وتمسك بالحياة الأبدية » ١ تى ٦ : ١٢][٤٥] .

هكذا فإن المسيحية ليست فلسفة فكرية بل حياة فى نور الرب يسوع .

+ + +

الاصحاح الثالث

الإيمـــان واللســـان

فى هذا الأصحاح يعالج موضوع « **الإيمان واللسان** » إذ دخلت بعض الأخطاء عن فريسية اليهود الشريرة ألا وهى **حب التعليم وكثرة الكلام بلا حكمة** فتحدث عن :

١ ــ **حب التعليم** .	١ ، ٢
٢ ــ **خطورة اللسان** .	٢ ــ ٦
٣ ــ **كيف نضبط اللسان ؟**	٧ ــ ١٢
٤ ــ **اللسان والحكمة الحقيقية** .	١٣ ــ ١٨

١ ــ حب التعليم

« **لا تكونوا معلمين كثيرين يا اخوتى عالمين اننا نأخذ دينونة أعظم** » ع ١ .

الإيمان الميت الذى بلا أعمال يدفع بالإنسان إلى تغليف نفسه بمظهر التعليم ، فيُكثِر الكلام والتوبيخ والانتهار بغير إنسحاق داخلى .

لهذا تُلزِم الكنيسة **جميع خدامها ورعاتها** أن يكون لهم آباء إعتراف حتى لاينسوا بنيانهم الروحى فى وسط الخدمة والتعليم . وينصح الرسول بولس تيموثاوس « لاحظ نفسك والتعليم » .

وتعلمنا الكنيسة فى القداس الإلهى أن يصلى الكاهن من أجل خطاياه قبل صلاته من أجل جهالات الشعب[٤٦] .

لهذا يخاف **القديس اغسطينوس أسقف هيبو** على نفسه فيقول (أننا نحرسكم فى عملنا كوكلاء لله ، لكننا نحن أيضاً نود أن يحرسنا الله . إننا كما لو كنا رعاة بالنسبة لكم ، لكننا أيضاً فى رعاية الله ، إذ نحن خراف زملاء لكم . إننا

معلمون بالنسبة لكم . لكن بالنسبة لله فهو السيد الواحد ، ونحن زملاء لكم فى مدرسته .

إن أردنا أن يحرسنا الله الذى اتضع من أجلنا وتمجد لكى يحفظنا ، فلنتضع نحن أيضاً فلا يظن أحد أنه شيء ، فإنه ليس لأحد شيء صالح ما لم يكن قد أخذه من الله الذى وحده هو صالح) .

لكن يدفع الكبرياء بعض الخدام والعلمانيين حتى أنهم ظنوا فى أنفسهم أنهم قد خلصوا وأنهم صالحون لا يخطئون ، لهذا أكمل الرسول قائلا :

« لأننا فى أشياء كثيرة نعثر جميعنا » .

هذه البدعة لها جذورها فى عهد الرسل كما فى أيام اغسطينوس حيث كتب يوبخ البيلاجيين على هذه الادعاءات ، وكتب أمبروسيوس يوبخ القائلين بهذا أيضاً .

إن تعاليم الكتاب المقدس وأقوال الآباء تؤكد شدة الحرب الروحية التى يواجهها الرعاة أكثر من غيرهم ، لأنه متى أسقطهم الشيطان يشتت الرعية معهم .

ويقول **القديس ذهبى الفم** أنه حتى رئيس الأساقفة معرض للضعفات حتى يترفق بالضعفاء أولاده واخوته .

ويقول **البابا بطرس الاسكندرى** : [من هم أكثر سُمُوّاً من الرسل الذين هم أنفسهم لم يخلوا من ضعفنا ؟ لأن أحدهم يقول « لأننا فى أشياء كثيرة نعثر جميعنا » ... لكن عندما نتوب عنها ننال غفراناً ، خاصة إن كانت بغير إرادة أو عن جهل أو ضعف][٤٧] .

٢ ــ خطورة اللســـان

« ان كان أحد لا يعثر فى الكلام فذاك رجل كامل قادر أن يلجم كل الجسد أيضاً » ع ٢ .

انتقل الرسول من الحديث عن حب التعليم دون التعلم إلى كثرة الكلام المبعثر . فمن لا يلجم لسانه لا يستطيع أن يضبط الجسد كله أى حياته كلها ، أما من يلجمه فيكون رجلاً كاملاً أى فيه رجولة ونضوج روحى .

يقول **القديس يوحنا الدرجى** : [إن الثرثرة هى عرش الغرور ، ومن هذا العرش تظهر محبة ابراز الذات والمناهاة والافتخار .

الثرثرة إشارة إلى الجهل ، وباب الاغتياب ، وموصل إلى الهزل والضحك ، وخادم للكذب والرياء .

هى دليل النوم وتشتيت الذاكرة ، تُزيل اليقظة وتبرد الحرارة وتفتر الصلاة][٤٨] .

وقد ضرب الرسول أمثلة على خطورة اللسان فقال :

(ا) « هوذا الخيل تضع اللجم فى أفواهها لكى تطاوعنا فندير جسمها كله » ع ٣ .

اللجم لا تدير الرأس فحسب بل الجسم كله ، أى السلوك كله .

إذاً فلنقل للرب « أَحْفَظُ لفمى كِمامةً فيما الشر مُقابلى » مز٣٩ : ١ حتى لايركض جسدنا كالخيل ويُطَوِّح بالنفس البشرية على الأرض محطمة .

(ب) « هوذا السفن أيضاً وهى عظيمة بهذا المقدار وتسوقها رياح عاصفة تديرها دفة صغيرة جدا إلى حيثما شاء قصد المدير (ع ٤). هكذا اللسان أيضاً هو عضو صغير ويفتخر متعظما » .

السفن مع ضخامتها يديرها الربان بدقة صغيرة ، ومتى أساء الربان استخدامها يفقد السفينة وكل ما عليها .

فقد أساء نبوخذ نصر الدفة أى لسانه ونطق متعظماً « هذه بابل العظيمة التى بنيتها ... بقوة اقتدارى ولجلال مجدى » دا ٤ : ٣ فذاق المر سنيناً !

وهيرودس بسبب الدفة الصغيرة ضربه ملاك الرب لأنه لم يعطِ المجد لله وصار

الدود يأكله ، إذ صرخ الشعب قائلاً : « هذا صوت إله لا صوت إنسان » أع ١٢ : ١٢ .

ويطرس من أجل كلمة بكى بمرارة .

(حـ) هوذا نار قليلة أى وقود تحرق(ع ٥). فاللسان نار عَالَم الاثم . هكذا جعل فى اعضائنا اللسان الذى يدنس الجسم كله ويُضْرِم دائرة الكون ويُضْرَمُ من جهنم (ع ٦).

شرارة بسيطة كفيلة بحرق غابة ضخمة ، لهذا « لا تدع فمك يجعل جسدك يخطىء » جا ٥ : ٦ . فاللسان هو الشرارة التى تُضرم من جهنم لكى تُضْرِم الجسم كله ، فيفقد الإنسان قدرته على الصلاة ويسبب انشقاقات ويثير الحقد ، ويخسر سلامه الداخلى والخارجى ... هذا كله بسبب اللسان أُضرِم من إبليس .

ويقال أن « جهنم » هنا تعنى مكان كان اليهود يلقون فيه الحيوانات الميتة والقاذورات لحرقها ، وكانت النيران لا تنطفىء ليلاً أو نهاراً .

٣ ــ كيف نضبط اللسان ؟

« لأن كل طبع للوحوش والطيور والزحافات والبحريات يذلل وقد تذلل للطبع البشرى (ع ٧). وأما اللسان فلا يستطيع أحد أن يذلله » .

يقول **القديس اغسطينوس** : [لم يقل الرسول أن اللسان لايوجد من يذلله بل لا يستطيع أحد (من البشر) أن يذلله ، حتى متى أُلجِم نعترف بأن ذلك بفضل حنان نعمة الله ومعونته][٤٩] .

ويقول أيضاً : [يستطيع الإنسان ترويض الوحوش المفترسة ، أما لسانه فلا يقدر أن يُلجِمه ! ...

يستطيع الإنسان تهذيب كل شىء ما عدا ذاته ، فما يقدر عليها !

يقدر على تهذيب كل مايخاف منه أو يجدر أن يخافه،أما ذاته التى لايخافها فلا يقدر عليها !

إذن لنلجأ إلى الله الذى يستطيع أن يُلجمه . أنتم لا تقدرون على إقماع ألسنتكم لأنكم بشر ... فلنطلب من الله لكى يروضنا قائلين له « يارب ملجأ كنت لنا » مز ١٣٩ : ٧ .

هل يستطيع (الإنسان) صورة الله أن يروض الأسد المفترس ويعجز الله عن ترويض صورته ؟!

إن رجاءنا يكمن فى هذا المروِّض لنخضع له ملتمسين رحمته ... لنحتمله حتى يروِّضنا فنصير كاملين ، لأنه كثيراً ما يسمح لنا بتأديبات . فإن كنتم تستخدمون أسواطاً فى ترويض الحيوانات المفترسة ، أما يستخدم الله ذلك ليحوِّلنا نحن وحوشه إلى أولاد له ؟!][٥٠] .

يذكر مكروبياس أن بعضاً كانوا يُروِّضون الغربان حتى كانت تنطق قائلة « السلام عليك يا قيصر الملك الغالب » وكانوا يقومون ببيعها لقيصر وهو عائد منتصراً ... أفلا يقدر الله أن يروض ألسنتنا لتنطق بالتسبيح للرب الغالب ؟!

« هو شر لايضبط مملوء سما مميتا » ع ٨ .

عندما أراد الرسول أن يُظهِر شر الإنسان قال « الجميع زاغوا ... حنجرتهم قبر مفتوح . بألسنتهم قد مكروا . سم الأصلال تحت شفاههم وفمهم مملوء لعنة ومرارة » رو ٣ : ١٣ ، ١٤ . وكأن هذا يكفى للكشف عن مقدار ما بلغه الإنسان من زيغان وفساد .

وسرُّ شره ليس فى طبعه لكن فى انحرافه عن عمله ، فتارة يبارك الله وأخرى ينحرف ليلعن الناس ، وكما يقول الرسول :

« به نبارك الله الآب وبه نلعن الناس الذين قد تكونوا على شبه الله (ع٩). من الفم الواحد تخرج بركة ولعنة لايصلح يا اخوتى أن تكون هذه الأمور هكذا (ع ١٠). العل ينبوعا يُنبع من نفس عين واحدة العذب والمر ؟! (ع ١١). هل تقدر يا اخوتى تينة أن تصنع زيتونا أو كرمة تينا ؟! ولا كذلك ينبوع يصنع ماء مالحا وعذبا » ع ١٢ .

اللسان الذى نبارك به الله فى الصلاة ، متى استخدمناه فى إساءة الناس الذين هم على شبه الله ، نوجه الإهانة إلى الله خالقهم ، ونستهين بحبه الذى أحب به العالم كله حتى بذل إبنه الوحيد عنهم .

جيد للتينة أن تُخرِج تيناً والزيتونة زيتوناً ، ولكن لايليق بالتينة أن تخرج زيتوناً ... هكذا ليُخرِجْ اللسان حسبما يليق بعمل الإنسان ووظيفته ، فلا يوبخ الابن أباه ولا ينتهر الإنسان شيخاً ولا يدين إنساناً مخطئاً . **هكذا يَلزم بنا أن تكون لنا الحكمة الحقيقية حتى نعرف كيف نتكلم ؟ ومتى نتكلم ؟**

٤ ــ اللسان والحكمة الحقيقية

« من هو حكيم وعالم بينكم فَلْيُرِ أعماله بالتصرف الحسن فى وداعة الحكمة » ع ١٣ .

لا تظهر الحكمة الحقيقية بكثرة المعرفة الذهنية ، إنما تنكشف خلال :

١ ــ **العمل** : « فَلْيُرِ أعماله بالتصرف الحسن » ، وكما يقول **الاب نسطور** :

[إن كنتم مشتاقين إلى الحصول على نور المعرفة الروحية ، معرفة ليست خاطئة لأجل كبرياء فارغ لتكونوا رجالا فارغين يجدر بكم أولا أن تلتهبوا بالشوق نحو هذا التطويب الذى نقرأ عنه « طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعانون الله » مت ٥ : ٨ . وبهذا تنالون ما قاله الملاك لدانيال « والفاهمون يضيئون كضياء الجَلَد ، والذين ردّوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور » دا ١٢ : ٣ ... وهكذا يَلزم المثابرة بالجهاد فى القراءة مع السعى بكل اشتياق لنوال المعرفة العملية الاختبارية أولا أى المعرفة الأخلاقية .

فبعدما يبذلون جهوداً وأتعاباً كثيرة يستطيعون أن ينالوا المعرفة الروحية كمكافأة لهم من أجلها . وإذ يقتنون المعرفة لا من مجرد التأمل فى الشريعة بل كثمرة لتعبهم يتغنون قائلين « من وصاياك تَفَهَّمْتُ » مز ١١٩: ١٠٣][٥١].

٢ ــ **الوداعة** : يقول الرسول « فى وداعة الحكمة » ، إذ المعرفة الحكيمة هى المملوءة وداعة واتضاعاً بلا كبرياء أو عجرفة .

وقد أوضح الرسول علامات الحكمة الرائعة فقال :

« ولكن ان كان لكم غيرة مُرّة وتحزب فى قلوبكم فلا تفتخروا وتكذبوا على الحق (ع ١٤). ليست هذه الحكمة نازلة من فوق بل هى أرضية نفسانية شيطانية (ع ١٥). لأنه حيث الغيرة والتحزب هناك التشويش وكل أمر ردىء » ع ١٦ .

حيث توجد الغيرة المرة والتحزب تكون الحكمة زائفة .

فجيد للإنسان أن تكون له غيرة (٢ كو ١١ : ٢) ، لكن لا تكون مُرَّةً أى شريرة[٥٢] . لأنها لا تكون مبنية على أساس الحق بل على التعصب الأعمى والتهور ، وذلك كما فعل بطرس حين استل السيف وقطع أذن عبد رئيس الكهنة .

هذه الغيرة تفقد الإنسان والذين حوله الحق ، وتؤدى إلى تحزبات ، لأنه « حيث الغيرة والتحزب هناك التشويش وكل أمر ردىء » ، أى تفقد الإنسان سلامه الداخلى (١ كو ١٤ : ٣٣) .

ويكفى لهذا الإنسان الغيرة المرّة والتحزب أن يكونا فى داخل القلب (ع ٤) لكى تفسده .

أما مصادر الحكمة الزائفة فهى :

١ ــ **أرضية** أى نابعة عن محبة العالم من يمتلكها لايرتفع قلبه للسماويات بل يتعلق قلبه بالأرضيات . ومع أنه يغير على الحق ، لكن غيرته وكرازته يبعثهما حب المادة أو حبُّ الكرامة أو محبة مديح الناس ...

ب **نفسانية** أى صادرة عن الذات البشرية ، يركز الإنسان خدمته حول الأنا فلا يريد أن تختفى لِيَظْهَر الرب ، بل يُخفى الربَّ رغم كرازته بالرب لِيَظهر هو فيهتم ليس بما للروح بل بما للجسد ...

جـ ــ **شيطانية** أى باعثها الخفى هو الشيطان . فإذ سقط بالكبرياء لا يكفُّ عن أن يبث الكبرياء فى البشر تحت ستار الحكمة واللباقة ولو كان خلال العبادة وتعليم الغير والبحث عن النفوس الضالة .

أما الحكمة الحقيقية فمصدرها ومميزاتها هى :ـــ

« وأما الحكمة التى من فوق أولا طاهرة ثم مسالمة مترفقة مذعنة مملوءة رحمة واثمارا صالحة عديمة الريب والرياء(ع ١٧). وثمر البر يزرع فى السلام من الذين يفعلون السلام » ع ١٨ .

الحكمة السماوية مصدرها من فوق نازلة من عرش الله القدوس (حك٩:٤،٩) يمنحها الله لأولاده المثابرين المتمسكين به . أما مميزاتها فهى :

١ ـــ **طاهرة** أى نقية بلا غرض مُلتوٍ ، تَهَبُ صاحبها قلباً طاهراً وحياة عفيفة . فكما أن الله طاهر (١ يو ٣ : ٣) وكلامه طاهر (مز١٢:٦) لهذا فمن يقتنى حكمة الله لايطيق الدنس بل ينجذب لحياة الطهارة متشبها بالله .

ب ـــ **مسالمة** أى مملوءة سلاماً ، إذ قيل عنها ان كل طرقها سلام (أم ٣ : ١١) فإذ بالحكمة ينجذب الإنسان تجاه الله ، يمتلىء قلبه سلاماً ويفيض أيضاً بسلام خارجى مع الغير حتى أنه لايطيق أن يرى شجاراً أو يسمع صوتاً عالياً بل يُنفّذ على الدوام هذه الوصية « فلنعكف إذاً على ما هو للسلام وما هو للبنيان بعضنا لبعض » رو ١٤ : ٩ .

جـ ـــ **مترفقة** إذ يمتلىء القلب بالسلام تجاه الغير ويعمل لبنيان الآخرين فإنه يترفق بالكل مهما كانت الأخطاء والضعفات ، واضعاً نصب عينيه كيف يربح الجميع .

هذا الترفق ليس مظهراً خارجياً بل هو حياة داخلية ، سواء تكلم الإنسان أو صَمَتَ ، أدّب أو إنتقد ... فى هذا كله يترفق ويتحنن لكن فى حزم .

د ـــ **مملوءة رحمة واثمارا صالحة** : وحيث توجد الطاعة لابد من الثمر الصالح . وكما تدفع الحكمة الزائفة إلى الكبرياء وبالتالى إلى « كل عمل ردىء » ع ١٦ ، هكذا يعلن الرسول هنا عن الحكمة الحقيقية أنها عملية إذ تدفع للطاعة والخضوع ، وبالتالى إلى الرحمة والأثمار الصالحة .

وكما أن الإيمان بدون أعمال ميت ، كذلك الحكمة بغير ثمرة زائفة ، وقد وصفها سفر

الحكمة أنها مستعدة لعمل الخير وحب البشرية (حك ١ : ٦) .

وقد أعلن ذلك حكمة الله المتجسد ، إذ « جال يصنع خيراً » أع١٠:٣٨ .

إذاً فلنلبس الرب يسوع الحكمة الحقيقية لنأتى بثمر كثير (يو٥:١٥) ، ونجول به نصنع خيراً .

ز — **عديمة الريب** : أى ثابتة غير متزعزعة ولا منقسمة ، لها هدف واحد واضح ، تكشف الطريق السماوى بوضوح رغم ما فيه من آلام وأتعاب .

الحكمة الحقيقية تجعل الإنسان لايطيق أن ينقسم قلبه بين محبة الله ومحبة العالم ، أو يترنح بين الأبديات والزمنيات ، أو يخلط بين الاتكال على الله والاتكال على ذاته البشرية ، إنما يكون القلب ثابتاً فى اتجاهه ومحبته ورجائه .

ان عدم الريب يحمل معنى عدم المداهنة للغنى على حساب الفقير .

س — **عديمة الرياء** أى لا تحمل فى خارجها بخلاف ما فى باطنها ، بل كما يقول الرسول « إننا فى بساطة واخلاص الله ، لا فى حكمة جسدية بل فى نعمة الله ، تصرفنا فى العالم » ٢ كو ١ : ٢١ .

وقد حذر الرب يسوع تلاميذه من خمير الفريسيين الذى هو رياؤهم .

ش — **تهب « ثمر البر يزرع فى السلام (الامان) من الذين يفعلون السلام»** إذ بالحكمة يحصد الإنسان ثمر البر ... هذا الحصاد المملوء أماناً هو ثمر لزرع السلام ، بمعنى أنه بالحكمة يصنع الإنسان سلاماً ويحصد فى أمان ثمار البر .

إنه يزرع سلاماً بخضوعه لروح الرب وعدم مقاومته له ، ويحصد براً ، وهذا من ثمر الروح الذى خضع له وأطاعه وتجاوب مع عمله مثابراً .

+ + +

الأصحاح الرابع
الإيمان والشهوات

بعدما تحدث الرسول عن الحكمة السماوية والحكمة الأرضية أراد أن يوجه أنظارنا إلى خطورة **الشهوات الأرضية على حياة المؤمنين** إذ :

١ ــ تفقدنا سلامنا الداخلى .	**١ ــ ٣**
٢ ــ تفقدنا سلامنا مع الله .	**٤ ــ ١٠**
٣ ــ تفقدنا سلامنا مع الناس .	**١١ ــ ١٣**
٤ ــ لا تهبنا شيئاً .	**١٤ ــ ١٧**

\+ + +

١ ــ تفقدنا سلامنا الداخلى

« من أين الحروبات والخصومات بينكم أليست من هنا من لذاتكم المحاربة فى أعضائكم ؟! » ع ١ .

تنبع المنازعات والخصومات لا عن مضايقات الغير ، بل عن ضعف الانسان الداخلى وهزيمته فى الحرب الخفية التى ميدانها النفس . وقد أوضح **الاب بيامون**(٥٣) أن البناء متى اهتز وسقط لا يكون العيب فى الرياح التى هبت ، بل فى عدم تأسيس البناء على أساس قوى ، إذ يقول :

(إذا انهزم إنسان أمام خطأ واشتعلت فيه نيران الغضب ، وجب عليه ألا يعتبر أن مرارة الاهانة الموجهة إليه هى سبب خطيته بل بالحرى **ظهور ضعفه الخفى** .

إذاً لا نحتاج إلى البحث عن سلامنا فى الخارج ، ولا نظن أن صبر الآخرين يفيد عدم صبرنا . لأنه كما أن ملكوت الله داخلنا ، كذلك أعداء الانسان من

« أهل بيته » مت ١٠ : ٣٦ ، لأنه ليس عدو أكثر من قلبى الذى هو بالحق ألْصَقُ أهلِ بيتى إلىّ) .

فأساس المنازعات هى حرمان القلب من السلام الداخلى ، لهذا يقول **القديس اغسطينوس** (فى الحرب الروحية إذا انتصرنا على شهواتنا ننتصر على أعدائنا (الشياطين) . لأنه متى قهرنا فينا الشهوات الأرضية نقهر لا محالة العدو الذى يتسلط علينا بهذه الشهوات . فإذا قيل للشيطان (فى شخص الحية) أن يأكل التراب ، قيل للخاطىء (فى شخص آدم) أنت تراب وإلى تراب تعود وبهذا صار الانسان طعاماً للشيطان . فإن أردنا ألا نكون هكذا يلزمنا ألا نكون تراباً) .

سر الخصومات هو استسلام المرء للذات المحاربة فى أعضائنا بغير مقاومة . أما إذا قاوم ولم يستسلم ... فانه وإن ضايقه الجميع وساءت الظروف المحيطة به وفَقَدَ كل شىء ، لا يفقد سلامه الداخلى ولا يدخل الخوف إلى قلبه . وكما يقول **القديس ذهبى الفم**(٥٤) (لا يضرك أحد إن لم تضر نفسك بنفسك . إن كنت لا تخطىء فإن عشرات الألوف من السيوف تهددك ولكن الله ينتشلك حتى لا تقترب إليك) .

هذا ما تفعله اللذات فى حياة الإنسان المستسلم لها ... وماذا ينتفع منها ؟

يقول الرسول « **تشتهون ولستم تمتلكون** » . انها كالسراب تجذب الإنسان ليجرى وراءها فيضل الطريق ويزداد عطشاً دون أن ينال شيئاً لأنها لذّات خادعة .

« **تقتلون وتحسدون ولستم تقدرون أن تنالوا . تخاصمون وتحاربون ولستم تمتلكون لأنكم لا تطلبون** » ع ٢ .

يحدِّث الرسول أناساً قامت بينهم خصومات ، فى ظاهرها من أجل الحق ، لكن حقيقة دافعها اللذات المحاربة فى أعضائهم أى الكرامة الزمنية أو أى دوافع أرضية أخرى ... هذه اللذات دفعتهم إلى روح الحسد والبغضة . لهذا يقول « تقتلون » أى تبغضون « وتحسدون ولستم تقدرون أن تنالوا » .

وقد دعاهم قتلةً بسبب البغضة ، وذلك كما فى إنجيل متى (٥ : ٢٢)

ورسالة يوحنا الأولى (٣ : ١٥). حيث تُعْتَبَرُ الكراهية قتلاً ، وفى سفر يشوع بن سيراخ (٣٤ : ٢١) يُعتبر من يهضم حق الأجير سافك دم .

فكل بغضة هى قتل حتى وإن اختفت وراء الدفاع عن الحق ، ولا ينال الانسان من وراء ذلك شيئاً بل يفقد حتى حياته ، كإيزابيل التى قتلت نابوت اليزرعيلى كرمه ، فلحست الكلاب دمها (١ ملو ٢١ : ١٠ — ١٦) .

تطلبون ولستم تأخذون لأنكم تطلبون رديا لكى تنفقوا فى لذاتكم ، ع٣ .

لقد سبق الرسول فعلل سبب عدم نوال الشيء بعدم الطلب « لستم تمتلكون لأنكم لا تطلبون » . وما أصعب على الأب أن يرى أولاده محتاجين ولا يطلبون من أبيهم ... غير أن هناك فئة تطلب لكنها لا تأخذ . وليس السبب فى الواهب بل فى الطالبين ، فبينما يرفعون كلماتهم فى الصلاة إلا أن قلوبهم مرتبطة باللذات فى الأرض ، فتكون صلواتهم مَكْرَهَة أمام الرب . إذ نستخدمها وسائل لتحقيق مآرب أرضية وكأننا نقول للآب السماوى : هب لنا عطايا أرضية لأننا مرتبطون بالأرض ونريد أن نرتبط ولا نشتاق أن نتهيأ للسماء حيث يكون لنا نصيب معك .

ما أثقل على نفس الأب أن يطلب الإبن منه عطايا لكى يهرب بها من وجه أبيه ، والعروس التى تطلب من عريسها هدايا ولا تطيق أن ترى وجهه !!

يقول **القديس اغريغوريوس** (« كل ما تسألون الآب بإسمى يعطيكم » . أما اسم الإبن فهو « يسوع » أى مخلص . فالذى يسأل بإسم المخلص هو ذاك الذى يسأل فيما يختص بأمر خلاصه .

إذاً فلتراجعوا طلباتكم لتنظروا ما إذا كانت باسم « يسوع » أى خاصة بأمور الخلاص ، أم يطلب أحدكم عُرساً وآخر حقلاً وثالث ثوباً ورابع رزقاً وقوتاً ... وهذه يجب أن تُطْلَبَ من الخالق القدوس لكن الأولى أن نتبع قول الرب « أطلبوا أولا ملكوت الله ») .

\+ + +

٢ ــ تفقدنا سلامنا مع الله

« أيها الزناة والزوانى أما تعلمون أن محبة العالم عداوة لله . فمن أراد أن يكون محباً للعالم فقد صار عدواً لله » ع ٤ .

يترجمها البعض « أيتها الزانيات Ye adulteress » وليس غريباً أن يستخدم الرسول هذه الصيغة ، لأنه فى العهد القديم[٥٥] كان يُشبِّه خيانة عهد الله والانحراف عن العبادة بالخيانة الزوجية ، كما استخدم العهد الجديد[٥٦] نفس التشبيه مُسَمِّياً هذا الأمر « فسقاً » أى زنا روحى فيه ترفض النفس البشرية الاتحاد بعريسها[٥٧] لتتحد بإله آخر . هذا الإله قد يكون إنساناً معيناً أو شهوة أو مادة ...

لكن يتساءل البعض : لماذا نعتبر محبة العالم عداوة لله وزنا روحى ، مع أن الله خلق كل شىء من أجل الإنسان ؟

الله لا يريد مضايقتنا أو حرماننا ، لكن كبعل للعروس أو خَتَنِها السماوى لايقبل أن تلتصق بآخر .

انه يريدنا أن نستعمل العالم . لكننا نَتَلمَّس محبة الواهب دون أن يرتبط قلبنا بحب العطية ذاتها متجاهلين صاحبها . فالعالم فى خلقته حسن (تك ١) ، لكن إذا تمسك الإنسان به وانشغل عن الله (العالم كله وضع فى الشرير) ١ يو ٥ : ١٩ إذ لم يعد قنطرة للعبور إلى الأبدية ، بل تَعَبَّد له الإنسان وارتبط بمغرياته ، وهكذا سقط فى فخاخه . لهذا يوبخنا الرسول قائلاً :

« أم تظنون أن الكتاب يقول باطلا الروح الذى حل فينا يشتاق إلى الحسد » ع ٥ .

وكما يقول الله عن نفسه « لأنى أنا الرب إلهك إله غيور » خر ٢٠ : ٥ . فالروح (القدس) الساكن فينا يشتاق إلى الحسد أو يغير علينا غيرة مقدسة[٥٨] .

وكما يقول **القديس ايرونيموس** (لو لم يكن الله محباً للنفس لما غار عليها ولا تَعَقَّبها على حب غيره ، كالرجل الذى يتعقَّب عروسه على حبها سواه) .

« ولكنه يعطى نعمة أعظم . لذلك يقول يقاوم الله المستكبرين وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة » ع ٦ .

إن كان الله يغير علينا فإنه لا يتركنا وحدنا حتى لا نخور فى أنفسنا (عب ١٢ : ٣) لكنه يَهَبُ نعمة أعظم للمتواضعين الخاضعين لعمله (أم ١٦ : ١٨) أما الذين يتكلون على ذواتهم فيقاومهم لأنهم ارتبطوا بروح إبليس المعاند ...

« فاخضعوا لله . قاوموا ابليس فيهرب منكم » ع ٧ .

إن كنا نرفض ملكوت إبليس يَلْزَمنا أولا أن نقبل ملكوت الله بالخضوع له ، بعد هذا نقاوم وعندئذ لا يكون لإبليس سلطان علينا بل يهرب منا .

ويُشبِّه **القديس ذهبى الفم** الشيطان بكلب لا يبرح ملتصقاً بمائدة صاحبه مادام يُلْقَى إليه بين حين وآخر شيئاً منها . لكن إن كف عن ذلك فسيبقى إلى حين ثم ينقطع رجاؤه ويهرب من المائدة ليبحث عن مائدة أخرى . هكذا يَلْزَمنا أن نقاوم إبليس على الدوام ولا نعطيه مكاناً فينا (أف ٦ : ١١ ، ١٣ ، ٤ : ٢٧) .

كيف تخضع لله ونقاوم ابليس ؟

١ ــ بالاقتراب منه « اقتربوا إلى الله فيقترب اليكم » .

رأى الأب المحب إبنه الضال راجعاً « فتحنن وركض ووقع على عنقه وقَبَّله لو ١٥ : ٢ . فما أن نرجع إلى الله حتى يرجع هو إلينا (زك ١ : ٣) ، لأنه ليس ببعيد عنا ، بل كما يقول « هأنذا واقف على الباب واقرع إن سمع أحد صوتى وفتح الباب أدخل إليه وأتعشى معه وهو معى » رؤ ٣ : ٢٠ .

بالتوبة ندخل إلى الله ، وبدونها لاننتفع بالبركات الإلهية التى نلناها فى العماد ، ولا نستحق التناول من الأسرار المقدسة للاتحاد بالرب ، ولا نعرف كيف نصلى أو كيف نسمع صوت الله فى كتابه ، أو كيف ندخل بيته ، أو نُرنِّم له ونسبحه ونشكره ، أو نخدمه ونخدم أولاده ... الخ .

٢ ــ « نقوا أيديكم أيها الخطاة »

يقول **القديس اكليمنضس الرومانى**[٥٩] (ليتنا نقترب إليه فى قداسة النفس رافعين أيادى نقية غير دنسة) .

يَلْزم ألا تكون التوبة كلاماً أو مجرد مشاعر وعواطف بل سلوكاً أيضاً وحياة . لذلك طالب الرسول بنقاوة اليدين ، أو نقاوة الأعمال . ويريدنا الرسول بولس أن نصلى رافعين أيادى طاهرة بدون غضب ولا جدال (١ تى ٢ : ٨) ، لأنه « من يصعد إلى جبل الرب ومن يقوم فى موضع قدسه الطاهر اليدين والنقى القلب » مز ٢٤ : ٤ .

ويؤكد الله « ان كَثَّرْتم الصلاة لا أسمع » . وما السبب ؟ « أيديكم ملآنة دماً » أش ١ : ١٥ .

٣ ــ « وطهروا قلوبكم يا ذوى الرأيين » ع ٨ .

وهنا لم يقل « أيها الخطاة » ، بل « يا ذوى الرأيين » موضحاً أن طهارة القلب تعنى وحدة الهدف ، فلا يكون منقسماً بين محبة الله ومحبة شىء آخر . هكذا عرّف **الاب موسى**[٦٠] نقاوة القلب الذى هو ترمومتر العبادة .

« اكتئبوا ونوحوا وابكوا ليتحول ضحككم إلى نوح وفرحكم إلى غم » ع٩

يقول **الاب نيلس السينائى**[٦١] (قبل كل شىء أطلب من الله أن تهبك دموعاً فربما تُلَيِّنُ الدموع الصلابة الكامنة فى نفسك ، وتكشف لك خطاياك من نحو الله (مز ٢٢ : ٥) ، وبهذا يَهَبك الله عنها غفراناً .

استخدم الدموع كسلاح للحصول على طلباتك من الله ، لأن الله القدير يُسَرُّ عندما تصلى بدموع ...

احذر الوقوع فى انفعال عاطفى ... فكثير من الناس ينسون الغرض من الدموع) .

ليعطنا الرب أن نرفع أعيننا بالدموع نحوه كالطفل تجاه أمه ، فيكون لنا هذا « الحزن الذى بحسب مشيئة الله يُنْشِئُ توبة لخلاص بلا ندامة » ٢ كو٧ : ١٠ .

جاء فى سيرة **القديس باخوميوس**[٦٢] (فى أحد الليالى إذ عبر باخوميوس ومعه تادرس تلميذه على مقابرفوجدا نسوة يَنُحْنَ ويَبْكِين ، فتأثر باخوميوس لهذا المنظر مشتاقاً لو بكى الكل على خطاياهم حتى يقومون ... لذلك قال لتلميذه . أما ترى هؤلاء كيف يَسْكُبْنَ دموعهن على أموات ليس لهن قدرة على إقامتهم ؟! فكم يَلزمنا نحن المدعوين رهباناً أن نَنْدُب أنفسنا الميتة بزلاتها لكى يقيمها السيد المسيح ويحييها برحمته ؟!

على كل حال البكاء ممدوح إن كان بقصد صالح ، كما كان يفعل سائر الآباء القديسين . فداود النبى يقول « أعوّم كل ليلة سريرى بدموعى أُذَوِّبُ فراشى » مز ٦ : ٥ ، فعنى بالمساء هذا العالم ، والصباح العالم الآتى . ويوسف بكى على إخوته ... وناح أرميا النبى نادباً شعبه) .

٥ ــ اتضعوا قدام الرب فيرفعكم ع ١٠ .

خشى الرسول أنهم فى بكائهم يحسبون أنفسهم أفضل من غيرهم فيفقدون كل جهادهم . لهذا يقول **الاب نيلس السينائى**[٦٣] (عندما تسكب فيضاً من الدموع أثناء الصلاة لا تفتخر بذلك ظاناً فى فكرك أنك أفضل من آخرين ، بل ان اعترافك بخطاياك وهبك دموعاً استجلبت حنان الله) .

\+ + +

٣ ــ تفقدنا سلامنا مع الناس .

رأينا أن محبة الأرضيات تفقدنا سلامنا الداخلى وسلامنا مع الله ، وبالتالى تُفْسِد نظرتنا للآخرين فندينهم ونذمهم ونرى كأنهم أشرار . لذلك ينصحناالرسول **« لا يذم بعضكم بعضا أيها الاخوة . الذى يذم اخاه يذم الناموس ويدين الناموس وان كنت تدين الناموس فلست عاملا بالناموس بل ديانا له » ع ١١ .**

انه يوجه الحديث قائلا « أيها الإخوة » . فإذ نحن إخوة يليق بنا أن نستر ضعفات بعضنا البعض مترفقين بالكل . فمن يذم أخاه يذم الناموس الذى أوصانا بمحبة القريب كنفوسنا ، ومن يدين الناموس ويرفضه إنما يرفض واضعه مع

أنه « **واحد هو واضع الناموس القادر أن يخلص ويهلك فمن أنت يا من تدين غيرك ؟** » ع ١٢ .

إنه الديان الوحيد واضع ناموس الحب والرحمة وقادر أن يخلص وقادر أن يدين ، فَمَنْ نحن حتى ندين الآخرين فنسلب الله حقه وعمله ؟!

ذكر **بلاديوس** (حدث أن دان اسحق القس التبايسى أخاً على فعل ما ، وذلك بعد خروجه من الجماعة ليتوحد فى البرية ، فجاءه ملاك يقول له « الرب يقول لك : أين تشاء أن تطرح نفس ذلك الأخ المخطىء الذى تدينه ؟! » فلما أدرك خطأه قال « أخطأت ، إغفر لى » ...

ويقول **الشهيد كبريانوس**[٦٤] (لا يجوز لنا أن نسبق بالحكم ما دام الرب نفسه هو الديان اللهم إلا إذا كان سيصادق على ما نحكم به الآن على الخطاة حتى إذا وجد فيما بعد توبة صادقة وكاملة منهم) .

\+ + +

٤ ــ لا تهبنـــا شيئاً

سِرُّ انجذابنا للشهوات وانشغالنا بالأرضيات هو عدم إدراكنا لحقيقة غربتنا على الأرض ، أو تناسينا لها ، لهذا يوبخ الرسول قائلا :

« **هلم الآن أيها القائلون نذهب اليوم أو غداً إلى هذه المدينة أو تلك وهناك نصرف سنة واحدة ونتجر ونربح (ع ١٣). أنتم الذين لا تعرفون أمر الغد لأنه ما هى حياتكم أنها بخار يظهر قليلا ثم يضمحل** » ع ١٤ .

ليس العيب فى الاتجار ، لكن فى التحديد بأمر قاطع دون تسليم المشيئة للرب . حَسَنٌ للإنسان أن يدبّر الأمور متكلا على الله ، وشَرٌّ أن يظن أنه قادر على تدبير أموره بحكمته الخاصة . فالرب لايُعلِّمنا التواكل بل الإتكال ، بل يطلب الأمانة فى كل عمل لكن بغير كبرياء ، كالغنى الغبى الذى جمع الكثير وظن أنه قادر أن يُشْبِعَ نفسه لسنين كثيرة فطُلِبَتْ نفسه فى ذات الليلة (لو ١٢ : ١٥ ــ ٢١) .

« ما هى حياتكم ؟ » هكذا يستخف الرسول بالحياة الزمنية من أجل قصرها ، وكما يقول **القديس ذهبى الفم**[٦٥] (إن الحياة هنا وأمورها هى مجرد طريق ، أما مسكننا فهو أمور الدهر الآتى .

أمور هذه الحياة تُشبِه الربيع ، أما الحياة الأخرى فهى كالصخور لاتنهدم) .

لم يقل الرسول « لماذا تذهبون وتتاجرون » إنما كان لومه هكذا « **عوض ان تقولوا ان شاء الرب وعشنا نفعل هذا أو ذاك (ع ١٥). وأما الآن فانكم تفتخرون فى تعظمكم كل افتخار مثل هذا ردىء** » ع ١٦ .

لقد كانت عادتهم أن يذهبوا إلى المدن الجديدة ويقضون حوالى عام ليتجروا ويربحوا ويعودوا إلى بلدهم . لم يَلُمْهُمْ على هذا إنما لامهم لأنهم لم يسلموا المشيئة فى يدى الله ، بل اتكلوا على ذواتهم وتخطيطاتهم وحكمتهم وتكبروا ...

« **فمن يعرف أن يعمل حسنا ولا يعمل فذلك خطية له** » ع ١٧ .

وكأنه يجيبهم على سؤال وجهوه إليه : وهل فى هذا العمل خطية ؟ نحن لم نُؤْذِ أحداً ولا أسأنا إلى الناموس ... فلماذا تلومنا ؟

بلا شك عدم الاتكال على الله خطية ، لكن الرسول أجابهم بصورة أروع . « من يعرف أن يعمل حسناً » أى يتكل على الله ، « ولا يعمل فذلك خطية » ، فماذا يكون الأمر إن كنتم تعرفون ما هو شر وتفعلونه ؟

\+ + +

الأصحاح الخامس
الإنشغـــال بالغنى

بعد ما تحدث عن الشهوات الأرضية عاد ليحدثنا عن خطورة **الانشغال بالغنى** :

١ ــ الانشغال بالغنى .	**١ ــ ٦**
٢ ــ موقف المؤمنين من الأغنياء الظالمين .	**٧ ــ ١١**
٣ ــ عدم القسم .	**١٢**
٤ ــ موقف المؤمن فى كل الظروف :	
أولا : فى حالة الحزن .	**١٣**
ثانيـاً : فى حالة السرور .	**١٣**
ثالثـاً : فى حالة المرض .	**١٤ ــ ١٨**
رابعـاً : فى حالة انحراف أخ .	**١٩ ــ ٢٠**

الانشغال بالغنى

١ ــ الغنى غير باق

« هلم أيها الأغنياء ابكوا مولولين على شقاوتكم القادمة (ع ١). غناكم قد تهرأ وثيابكم قد اكلها العث (ع ٢). ذهبكم وفضتكم قد صدئا . وصدأهما يكون شهادة عليكم ويأكل لحومكم كنار قد كنزتم فى الأيام الأخيرة » ع ٣ .

يطلب الرسول من الأغنياء المتكلين على أموالهم أن يبكوا بل ويولولوا :

(ا) لأن شقاوتهم قادمة ... وهنا كلمة « قادمة » لا تعنى المستقبل البعيد إنما تعنى أنها على الأبواب ، ولهذا السبب يسمى **ذهبى الفم** المال بـ « الشارد »[٦٦] إذ يؤدى إلى أتعاب كثيرة ، وعند الضرورة يهرب ولا يقف بجوار صاحبه .

(ب) لأن شقاوتهم تَنْبُع من نفس المصدر الذى يترجون منه السعادة ، فغناهم قد تهرأ ، وهنا لم يقل « سيتهرأ » وذلك للتأكيد .

« وثيابكم أكلها العث » ، والثياب علامة الغنى ، كما هو علامة السلطان والسطوة (أش ٣ : ٦) ، فعندما أحب يعقوب يوسف أعطاه ثوباً ملوناً الأمر الذى أثار حسد إخوته عليه .

« ذهبكم وفضتكم قد صدئا » ... انه لم يذكر معدناً رخيصاً كالبرنز (سى ١٢ : ١٠) وذلك بسبب غناهم ... فإنه حتى المعادن الثمينة مع الزمن تفقد لمعانها وجمالها . وهنا يُذكِّرنا الرسول بِمَثَل العبد الكسلان الذى « حفر فى الأرض وأخفى فضة سيده » مت ٢٥ : ٢٦ .

(جـ) ان هذا يكون شهادة عليهم ويأكل لحومهم كنار ، إذ تحترق أجسادهم وتهلك نفوسهم كما بنار ... لأن مُحِبّ المال لايستريح هنا ولو إقتنى العالم كله ، ولا يستريح فى الأبدية إذ لا يطيق أن يعاين الله .

(د) « قد كنزتم فى الأيام الأخيرة » . بينما كان يَلْزم الاستعداد للرحيل قد بدأوا يكنزون ويزينون المسكن ويبنون بيوتاً مع أنهم فى لحظات يرحلون .

٢ ــ ينزع العدل والرحمة

« هوذا اجرة الفعلة الذين حصدوا حقولكم المبخوسة منكم تصرخ وصياح الحصَّادين قد دخل إلى أذنى رب الجنود » ع ٤ .

حسب الاقتناء يفقد الإنسان رحمته بأخيه بل يدفعه إلى ظلم الأجير . وهو أحد الفئات الأربع التى تهتز السموات لصراخهم ويسمع لهم الرب وهم :

+ المقتول عمداً (تك٤ : ١٠). + صراخ المسكين (خر ٢) .
+ صراخ التائبين (تك ١٨) . + صراخ الأجراء المظلومين .

إنها تصرخ كدم هابيل طالبةً الانتقام كقول الكتاب[٦٧] « لا تَبِتْ أجرة أجير عندك إلى غد » ، « من يمسك أجرة الأجير يُسْفَك دمه » .

نلاحظ أن الرسول يلقب الله « رب الجنود » أى رب الصباؤوت أو رب القوات السمائية : بمعنى أنه قادر على الدفاع عن المظلومين .

٣ ــ يدفع إلى حياة الترفه والتنعم

« قد ترفهتم على الأرض وتنعمتم وربيتم قلوبكم كما فى يوم الذبح » ع ٥ .

لقد خلق الله العالَم لنستخدمه لا لكى نلهو فيه وبه عن الخالق ، إذ يوبخنا قائلا « لما رَعَوْا شبعوا ، شبعوا وارتفعت قلوبهم لذلك نسونى » هو ١٣ : ٦ ، « أليست الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس ؟! » مت ٦ : ٢٥ .

ان حياة الانغماس فى الترف تَحْرُم الإنسان من ضبط نفسه « أما المتنعمة فقد ماتت وهى حية » ١ تى ٥ : ٦ .

بالتنعم يتربى القلب لكى يُذْبَح فى يوم الدينونة ، لهذا يُحذِّرنا الرب « فاحترزوا لأنفسكم لئلا تثقل قلوبكم فى خمار وسكر وهموم الحياة فيصادفكم ذلك اليوم بغتة » لو ٢١ : ٣٤ .

٤ ــ يقاوم البر والأبرار

« وحكمتم على البار قتلتموه لا يقاومكم » ع ٦ .

ربما قصد بالبار الرب يسوع كما سبق أن قال اسطفانوس الشماس فى توبيخه لجماعة اليهود « البار الذى أنتم صرتم مُسَلِّميه وصالبيه » أع ٧ : ٥٢ .

وربما قصد بالبار جماعة المؤمنين الذين قتلهم اليهود وخاصة الأغنياء منهم ورؤساؤهم دون أن يقاوموهم وذلك مثل أسطفانوس ويعقوب بن زبدى .

وربما أيضاً كان يتحدث بروح النبوة عن نفسه ، إذ قتلوه دون أن يقاومهم مع أنهم كانوا يدعونه بالبار .

٢ ــ موقف المؤمنين من الأغنياء الظالمين

« فتأنّوا أيها الاخوة إلى مجيء الرب »

مجيء الرب يبعث فى المؤمنين (الإخوة) طول الأناة ، إذ يُحوِّل الآلام إلى لذة ومتعة وتصير موضوع فرح ... لأنها تزكيهم فى ذلك اليوم .

يقول **الشهيد اغناطيوس الثيؤفورس (حامل الاله)** : [ليت النار والصليب ... ليت جماعات الحيوانات المفترسة ... ليت التمزيق والكسر ... خلع العظام وبتر الأعضاء ... تقطيع الجسد إرباً إرباً ... وليت كل عذابات الشيطان تنصبُّ علىّ ، لكننى فقط أصل إلى يسوع المسيح][٦٨] .

هكذا إذ يتطلع المؤمن إلى يوم الرب يشتهيه عاملا ومثابراً بنعمة الرب كالفلاح الذى يترجى يوم الحصاد .

« هوذا الفلاح ينتظر ثمر الارض الثمين متأنيا عليه حتى ينال المطر المبكر والمتأخر (ع ٧). فتأنوا أنتم وثبتوا قلوبكم لأن مجيء الرب قد اقترب » ع ٨ .

فمن أجل الحصاد يحتمل الفلاح الآلام والأتعاب لينال المطر المبكر والمتأخر الذى يُعينُه على الإثمار ... هكذا إذ ننتظر مجيء الرب حصادنا يلزمنا أن نحتمل كل شيء لننال بركات الرب ونعمه علينا التى قدمها ويقدمها لنا فى العهد القديم وفى العهد الجديد .

كلما اقترب موعد الزفاف يتعلق قلب العروس بعريسها مُهيِّئةً نفسها ليوم العرس ، مُتزينة بكل هداياه لها . هكذا نتزين نحن بكل هبات الرب ــ المبكرة والمتأخرة ــ لنقـدِّم عروساً عفيفة طاهرة بلا عيب ولا دنس ولا غضن .

ومن أجل يوم العرس نحتمل الضيق بقلب ثابت بلا تردد وذلك كقول الرسول :

« فتأنوا أنتم وثبّتوا قلوبكم لأن مجيء الرب قد اقترب »

وكما كتب البطريرك المتألم **البابا اثناسيوس الرسولى** إلى شعبه يوضح لهم عذوبة الطريق واتساعه رغم ضيقه وأتعابه قائلاً :

[ومع أن طريق الملكوت ضيق وكَرَب بالنسبة للإنسان ، لكنه متى دخل رأى إتساعاً بلا قياس ، وموضعاً فوق كل موضع . إذ شهد بذلك أولئك الذين رأوا وعاينوا وتمتعوا بذلك][٦٩] .

(يقول البشر فى الطريق) جَعَلْتَ ضغطاً على مُتُوننا ـــ أى (أحزاناً على قوتنا) مز ٦٦ : ١١ .

لكن عندما يَرْوُون فيما بعد عن أحزانهم يقولون « أخرجتنا إلى الخصب » ع١٢ ، وإذ يدرك المؤمن عذوبة الطريق يليق به أن يُنفِّذ وصية الرسول :

« لا يئن بعضكم على بعض أيها الاخوة لئلا تدانوا . هوذا الديان واقف على الباب » ع ٩ .

إنكم كإخوة لا يليق بكم أن تطلبوا الانتقام ، فإن هذا عمل الديان .

هوذا الديان واقف على الباب ... أى يوم الرب قد اقترب جداً ... فالآن ليس وقتاً للانتقام والإدانة بل وقت للخلاص وإعانة غير العارفين للحق وذلك بحبنا لهم وصلاتنا من أجلهم لأجل إنقاذهم وليس للانتقام منهم .

إنها لحيظة ينبغى علينا فيها أن نختبىء فى حب الله ومحبة القريب فنخلص نحن ويخلص الآخرون معنا أيضاً .

وكما يقول **القديس اكليمنضس الرومانى** : [كل الأجيال ، من آدم إلى يومنا هذا ، تموت . ولكن الذين بنعمة الله تكملوا فى الحبّ فلهم موضع بين القديسين ويظْهرون عند ظهور ملكوت السموات . إذ مكتوب « هلم يا شعبى أُدخُلْ مخادعك وأغلِقْ أبوابك خلفك . إختبىء نحو لحيظة حتى يعبر الغضب » أش ٢٦ : ٢٠ « وأتذكر يوماً حسناً فأقيمكم » حز ٣٧ : ١٢ ...

فموسى عندما صعد على الجبل وقضى أربعين يوماً وأربعين ليلة فى صوم واتضاع قال له الله « قم إنزل عاجلاً من هنا لأنه قد فسد شعبك ... أتركنى فأبيدهم وأمحو إسمهم من تحت السماء وأجعلك شعباً أعظم وأكثر منهم » تث٩ : ١٢-١٤، أجابه موسى « الآن إن غفرت خطيتهم وإلا فامحنى من كتَابك الذى كتبتَ (للحياة) » خر ٣٢ : ٣١ ، ٣٢ .

يا لعظمة الحب ! يا لكماله العجيب ! العبد يكلم سيده بصراحة طالباً العفو لشعبه أو أن يحذف إسمه هو أيضاً معهم !...

هكذا نحن أيضاً يَلزمنا أن نطلب من أجل كل ساقط فى الخطية حتى يهبَ لهم إمعان الفكر والاتضاع ، فيخضعوا لإرادة الله وليس لنا][٧٠] .

« خذوا يا اخوتى مثالا لاحتمال المشقات والاناة الأنبياء الذين تكلموا باسم الرب » ع ١٠ .

وكأن الرسول يوبخنا قائلا أنتم قد اقتربتم من يوم الرب ، فإن كنتم لا تقتدون بالرب يسوع عريسكم أو حتى برجال العهد الجديد فلا أقل من أن تتمثلوا برجال العهد القديم .

فالأنبياء رأوا خلال الرموز والظلال والرؤى وروح النبوة ، ومع هذا لم يفلت منهم أحد من الآلام والمشقات التى حلت بهم من اليهود ، أما نحن فقد رأينا وسمعنا ما لم يره الأنبياء ويسمعوه ، أفلا يليق بنا أن نحتمل على الأقل ما احتملوه ؟!

لقد اقتربت بنا الأيام جداً وصرنا فى الساعة الأخيرة ، فيلزم أن يزداد رجاؤنا ونستعد للآلام مُطوَّبين الذين سبقوا فاحتملوا بصبر .

« ها نحن نطوب الصابرين قد سمعتم بصبر أيوب ورأيتم عاقبة الرب كثير الرحمة ورؤوف » ع ١١ .

وكما يقول **البابا اثناسيوس الرسولى** : [كان أيوب يرى أن العالم هو مكان يتجرب فيه البشر على الأرض (أى ٧ : ١) ، فيتزكون فى هذا العالم بالأحزان والأتعاب والغم ، فينال كل واحد منهم المجازاة التى تتلائم معه ، إذ يقول الله على لسان النبى « أنا الرب فاحص القلب مختبر الكل لأعطى كل واحد حسب طرقه » أر ١٧ : ١٠][٧١] .

ويقول **مار افرام السريانى** : [التجارب تساعد العادلين والأبرار ، فأيوب رجل التمييز كان منتصراً فى تجاربه .

لقد حل به الضعف ، ومع ذلك لم يَشْكُ !

المرض أحزنه لكنه لم يتذمر !

جسده سقط وقوته وهنت أما إرادته فلم تضعف !

لقد برهن فى آلامه على كماله ، لأن التجارب لم تهلكه !][٧٢] .

وحلل **القديس يوحنا ذهبى الفم** آلام أيوب وكيف احتملها بصبر وقد سبق ترجمة تحليله هذا فى كتيب عن « رد عن القائلين بأن للشيطان سلطان علينا » : مكتفياً هنا بذكر مقتطفات منها :[٧٣]

[١ ــ **افتقر أكثر من الشحاذين** ... هؤلاء لهم ثوب ممزق ، أما هو فجلس عرياناً ، بل كان له ذلك الثوب الذى أمدته به الطبيعة أى الجسد ، وحتى هذا الثوب مزقه الشيطان من كل جانب ، بل أصابه بالقروح .

هذا القطيع الفقير له على الأقل أن يستظل تحت سقفية فى الطرقات ولهم مأوى ، أما أيوب فبقى لياليه فى العراء لا سقف له يأويه ! ...

هؤلاء لهم (شرور) يوبخون بها أنفسهم ، وهذه تساهم بتعزية ليست يقليلة فى أثناء الكارثة ... أما أيوب فنزعت عنه كل تعزية ! .

هؤلاء فقراء من مولدهم فاعتادوا على الفقر ، أما هو فاحتمل كارثة لم يقدر عليها !

لقد حُرم من الأرض المجردة ، بل جلس فى مزبلة ...

٢ ــ **آلام الجسد** : من بلغ به العجز مثله ؟! من احتمل أمراضاً هكذا ؟! ... الرائحة الكريهة تحيط به من كل جانب بعنف ، والجسد يتحطم قليلاً قليلاً وتصيبه العفونة ... ولم يكن قادراً حتى على التمتع بالقوت المُعْطَى له (أى ٦ : ٥) .

٣ ــ **احتماله موت أولاده** : لقد فقد أولاده العشرة . الكل اِكْتُسِحُوا دفعة واحدة والجميع فى ريعان شبابهم . والعشرة كانوا فضلاء ، ولم يموتوا موتاً طبيعياً بل موتاً قاسياً يرثى له .

٤ ــ **احتماله سخرية البشر** : وكان أيضاً هروب أصدقائه منه واستهزاؤهم وسخريتهم وتهكمهم وتجريحهم له أمراً لايطاق (أى ١٩ : ١) . فإن آلام الكارثة لا تعادل تلك التى تنبع من أولئك الذين يوبخوننا أثناء الكارثة ...

لقد دعاهم غير رحماء بقوله « أقاربى قد خذلونى والذين عرفونى نزلاء بيتى وإمائى يحسبوننى أجنبياً . صرتُ فى أعينهم غريباً . عبدى دعوتُ فلم يُجِبْ . بفمى تضرعت إليه »(٧٤) أى ١٩ : ١٤ ــ ١٦ .

٥ ــ **أهوال الليل** : لم يجد راحة بالليل ، فإن أهوال الليل المرعبة كانت أقصى من مصائبه بالنهار ... « تُرِيعُنِى بالأحلام وتُرهِبُنى بِرُؤًى » أى ٧ : ١٤ .

ولكن إن قلتَ : إنه أيوب ! ... (أقول) إنه كان الأجدر بك أن تحتمل أكثر منه ... لأن أيوب كان فى عهد ما قبل النعمة وقبل الناموس ، حيث لم تكن هناك حياة محدودة ولا أُعْطِىَ نعمة الروح العظيم ، عندما كان يصعب محاربة الخطية ، وكانت اللعنة سائدة والموت مرعباً] .

٣ ــ عــدم القسم

« ولكن قبل كل شىء يا اخوتى لا تحلفوا لا بالسماء ولا بالأرض ولا بقسم آخر . بل لتكن نعمكم نعم ولاكم لا لئلا تقعوا تحت دينونة » ع ١٢ .

القسم معناه إشهاد الله على عمل معين أو على تعهد معين ، أو أنك تقول الصدق .

وإذ كل الخليقة من أعلى السماء إلى أسفل الأرض ، من عرش الله إلى الشعرة البيضاء أو السوداء جميعُها تحكمها العناية الإلهية ، فمن يُقْسِمُ بالسماء أو الأرض أو أورشليم أو رؤوسهم يرتبطون بالقسم أمام الله(٧٥) .

لكن قد يسأل أحد : لقد جاء فى الشريعة « أوفِ للرب أقسامك » فلماذا منع الرب (مت ٥) ويعقوب الرسول القسم ؟

١ ــ رأى القديس يوحنا ذهبى الفم[٧٦] :

يوضح القديس خطورة القسم فى :

(ا) ان الشيطان يستغله لِنُقْسِمَ أثناء غضبنا ، فإذا ما عدنا إلى هدوئنا نَلتزِم بما أقسمنا به فى غضبنا ، فننجذب إلى الخطية قسراً .

(ب) اننا فى لحظات اللذة والشهوة يفقد الإنسان اتزانه فَيُقْسِم ، كما فعل هيرودس حينما أَقْسَمَ فى فترة خنوعه للشر أن يُعطِى لإبنه هيروديا ما تطلبه ولو كان نصف المملكة ... والْتَزَمَ بقطع رأس يوحنا المعمدان .

(جـ) من أجل تحقيق هدف سام يُقْسِمُ الإنسان من غير أن يدرك ما يُقْسِمُ من أجله . كما فعل يفتاح إذ صار قاتلاً لإبنته بسبب قسمه (قض ١١) .

٢ ــ رأى القديس اغسطينوس[٧٧] . ويتلخص فى :

يرى أن القسم ليس خطيةً فى ذاته ، ولكن الرب منعنا من القسم :

(ا) لأنه لايليق أن نقسم بالله من أجل أمور زمنية .

(ب) أن من يعتاد على القسم فيما هو صِدْقٌ لايقدر أن يمتنع فيما هو كَذِبٌ.

(جـ) ان الرسول بولس قد أقسم كما فى غلا ١ : ١٠ ، ٢كو١١ : ٣١ ، رو ١ : ١٩ ... وذلك بشروط :

أولا : أن يكون من أجل خلاص الناس وليس من أجل ربح زمنى له أو لهم.

ثانياً : موضوعه الكرازة والبشارة وليس أمراً زمنياً .

ثالثاً : ان يُشْهِدَ الله على حق أكيد ...

رابعاً : ان هذه الشهادة أو القسم من أجل ضعف السامعين وليس تأكيداً لكلامنا .

ومع هذا فإذ يعتاد اللسان على القسم لايدرك أو يميز بين القسم الحقيقى وغير السليم لهذا يمنعنا الرب منه بتاتاً .

٤ ــ موقف المؤمن فى كل الظروف

أولا : فى حالة الحزن :

« أعَلَىَ احد بينكم مشقات فليصل » ع ١٣ .

الرب يسوع المسيح هو المركز الذى تتجه إليه أنظارنا فى كل الظروف والأحوال : الضيق أو الفرح أو المرض أو سقوط أخ وانحرافه ... فى كل أمورنا نتجه نحو الرب .

ففى الضيق نرفع أنظارنا بالصلاة . وكما يقول **الأب نيلس** : [إن الصلاة هى دواء الغم وانقباض النفس][٧٨] .

المؤمن المتعقل يُحوّل آلامه إلى لقاءات مع الرب ، فقد جاء فى سيرة **القديس باخوميوس**[٧٩] انه إذ كان يجمع الحطب متى دخلت فى قدمه شوكة كان يذكر شوكة الخطية ويتأمل آلام الرب ، وكثيراً ما كان يستغرق فى صلاته بدموع ناسياً إخراج الشوكة من قدمه .

ومن إحسانات الله علينا أن يسمح لنا بالتجارب ولا يستجيب لطلباتنا سريعاً بل يتركنا فى الضيق لِنتعلّم الوجود فى حضرته . وكما يقول **الأب نيلس** : [لا تضطرب وتحزن إذا لم تحصل على طلباتك من الله ... الله يريد أن يُفيدك أكثر بأن يُعلِّمك الإلحاح فى الصلاة مع الصبر فى الوقوف أمامه ، **لأنه أى شىء أسْمَى من الوقوف أمام الله فى حديث معه والدخول فى شركته ؟!**][٨٠] .

ثانياً : فى حالة الفرح

« أمسرور احد فليرتل » ع ١٤ .

يَلزمنا ألاّ ننشغل بفرحنا عن المسيح بل نستخدمه كفرصة لتسبيح الله وشكره[٨١]. وقد خصص الكتاب أسفاراً وأصحاحات بأكملها للتسبيح مثل سفر المزامير وتسبحة موسى (خر ١٥) وتسبحة الثلاث فتية ...

وقد رتبت الكنيسة أن يسبح أولادها بتسابيح مقتطفة من الكتاب المقدس أو

بروحه ، وذلك فى مناسبات متعددة منها قبل صلاة القداس الإلهى وأثناء توزيع جسد الرب ودمه وفى أثناء الفرح بأعياد القديسين الذين انطلقوا إلى الفردوس .

وقد نَغـمَتْ الكنيسة المزامير وكثيراً من التسابيح بنغمات جميلة وقسمتها إلى مقاطع ، فكان المؤمن أينما وُجِد يقول مَقْطعاً فيرد عليه الباقون بالمقطع التالى وهكذا أينما وُجِدْتَ : فى الحقول أو البيوت أو المتاجر ... لا تسمع سوى مزامير وتسابيح روحية تُشْعِلُ القلب بمحبة الله والصلاة له بحرارة .

يقول **الاب اسحق** : [من له القدرة ـــ مهما بلغت خبرته ـــ أن يعدد الأسباب التى تثير القلب فيلتهب مُشتعِلاً بالنار وتحثه للصلوات الورعة العظيمة الغيرة ؟! لكننا نذكر أمثلة قليلة منها ...

أحياناً التغنّى بمقطع من المزامير يبعث فينا صلاة حارة .

وأحياناً انسجام التلحين لصوت أحد الإخوة يثير الأذهان الخاملة إلى إبتهالات كثيرة .

كذلك طريقة النطق والوقار الذى للمرنم (بالتسبيح يلهب غيرة من معه...)[٨٢].

يقول **الاب أوغريس**: [صَلِّ فى سلام ونقاء ، رتل بفهم ولذة وبذلك ستكون كنسر صغير يُحلِّق فى أعلى السماء .

ترتيل المزامير يُسكِّنُ الشهوات ويكبح نبضات آلام الجسد ، والصلاة تدفع العقل لأن يكون حكيما وسليماً فى أفعاله ...

ترتيل المزامير هو صورة لِتنوُّع الحكمة الإلهية ...

ان لم تكن قد أَخَذْتَ عطية الله أو ترتيل المزامير أُطلُبْ بحرارة وإلحاح فستأخذ][٨٣] .

ثالثاً : سر مسحة المرضى وسر الاعتراف :

« أمريض أحد بينكم فليدْعُ قسوس الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب . وصلاة الايمان تشفى المريض والرب يقيمه . وان كان قد فعل

خطية تغفر له (ع ١٥). اعترفوا بعضكم على بعض بالزلات وصلوا بعضكم لأجل بعض لكى تُشْفَوْا . طلبة البار تقتدر كثيرا فى فعلها (ع ١٦). كان ايليا انسانا تحت الآلام مثلنا وصلى صلاة ان لا تمطر فلم تمطر على الأرض ثلاث سنين وستة أشهر ع ١٧ . ثم صلى أيضا فأعطت السماء مطرا واخرجت الأرض ثمرها » .

الكنيسة كأم تترفق بأولادها ومسئولة أن تُشْبع لهم احتياجاتهم ليس فى ترفّة أو تنعّم ولكن بالقدر الذى به يسلكون فى طريق الصليب لذلك إذا مرض الإنسان « **فليدْعُ قسوس الكنيسة** » . وقد سَلّمنا الآباء الصلوات التى يصليها الكهنة من أجل المريض . وقد وُضِعَتْ بارشاد الروح القدس ، وقد سبق التعليق عليها[٨٤]، إنما نذكر هنا عنها :

١ ــ إنها توجه أنظار المؤمن المريض جسدياً إلى خلاص نفسه والاهتمام بالشفاء الروحى . وما أكثر الفصول من الكتاب المقدس والصلوات التى يبتهل بها الكاهن من أجل غفران خطايا المريض ومن معه وخطايا الكاهن نفسه وجهالات كل الشعب .

٢ ــ تشترط الكنيسة أن يُلازم سِرَّ مسحة المرضى سِرَّ الاعتراف « اعترفوا بعضكم على بعض بالزلات » ، وهنا واضح أن الذى يعترف هو المريض للكاهن وليس الكاهن للمريض .

يقول **القديس اغسطينوس** بأنه هل عندما يُقال «علموا بعضكم بعضاً» نفهم منها آن التلميذ يعلم المعلم أو واضح أن المعلم هو الذى يعلم التلميذ ، وهكذا أيضاً عندما نقول « اشفوا بعضكم بعضاً » واضح أن الطبيب هو الذى يَشْفى المريض .

٣ ــ « **ويدهنوه بزيت باسم الرب** » ... فالسر هنا لايعتمد على بر الكاهن وصلاحه بل على « اسم الرب » . فالعامل فيه هو الروح القدس . غير أن إيماننا فى السر شرط أساسى « **وصلاة الايمان تشفى المريض والرب يقيمه** » .

فالكنيسة كعروس الرب تطلب بروح عريسها أن يقيم أولادها ... لكنها تقدم مشيئته لا مشيئتنا الذاتية ... فقد يكون لخير المريض ـــ رغم مغفرة خطاياه ـــ أن يبقى فى المرض لأجل تأديبه أو تزكيته أو بحكمة إلهية أخرى كما حدث مع بولس الرسول . لذلك تصلى الكنيسة قائلة :

(يا من أقام إبن الأرملة وإبنة الرئيس من الموت لما أمرهما بالقيام وأقام لعازر من بعد موته بأربعة أيام من الجحيم بسلطان لاهوته **أقِمْ عبدك هذا من موت الخطية** وإن أمرتَ بإقامته إلى زمان آخَر فامنحه مساعدة ومعونة لكى يُرضيك فى كل أيام حياته .

وإنْ أمَرْتَ بأخذ نفسه فيكون ذلك بيد ملائكة نورانيين يخلصونه من شياطين الظلمة ـــ **أنْقُلْه** إلى فردوس الفرح ليكون مع جميع القديسين بدمك الذى سُفِك من أجل خلاصنا الذى به اشتريتنا لأنك أنت رجاؤنا ...) .

٤ ـــ يقدم الرسول لنا مثلاً فى الإيمان ... وهو كعادته يوبخ المؤمنين بأمثلة من رجال العهد القديم .

فالسماء خضعت لإيليا حينما أصدر لها أمراً لكى تمتنع عن المطر (١ مل١٨) ومن هو إيليا هذا ؟ إنه إنسان تحت الآلام مثلنا ، أى تحت الضعف مثلنا !

ونلاحظ أن النبى صلى من أجل السماء لكى تمتنع عن إسقاط المطر ليس انتقاماً لنفسه بل تأديباً للشعب الذى ترك عبادة الله الحى وعبد إلهَ الصيدونيين ، فاستجاب له ، فكم بالأكثر تكون قوة صلاة الكنيسة عروس المسيح فى سر المسحة من أجل شفاء المريض ، روحياً أولاً ثم جسدياً .

يقول **العلامة ترتليان** : [إستُخْدِمَتْ صلوات العهد القديم من أجل الخلاص من النيران (دا ٣) والوحوش (دا ٦) والمجاعات (يع ٥) مع أنهم لم يكونوا قد استلموا الصلاة من السيد المسيح ، فكم بالأكثر تكون فاعلية الصلاة المسيحية قويةً جداً إذ لا تأتى بالملائكة لكى تُهدِّىء من عمل النار ولا تُبكِم الأسود ولا تُقدِّم للجائع خبزاً طازجاً (٢ مل ٤ : ٤٢ ـــ ٤٤) . إنها ليس لها نعمةُ

نَزْع مشاعرِ الألم (أى نزع التجارب) بل تَهَبُ الألم والشعور به والحزن ، هذا كله مع الاحتمال . إنها تُغذِّى الهبة بالفضيلة ...][٨٥] .

رابعاً : فى حالة انحراف أحد الاخوة

« أيها الاخوة ان ضل أحد بينكم عن الحق فَرَدَّه أحد (ع ١٩). فليعلم انّ من ردَّ خاطئا عن ضلال طريقه يخلص نفسا من الموت ويستر كثرة من الخطايا » ع ٢٠ .

هكذا اختتم الرسول رسالته بهذه العبارة . ومع أنه عالج فى الرسالة أموراً كثيرة تكشف عن ضعفات المرسَلَة إليهم مثل محبة التعليم وحب الظهور وكثرة الكلام والمحاباة للأغنياء فى أماكن العبادة والقسم ... إلا انه يختتم الرسالة هكذا ، لا أن يكفوا عن أفعالهم هذه ، إذ سبق أن أرشدهم إلى ذلك ، بل أن يبحثوا عن الخروف الضال .

والسبب فى هذا أنه بهذا « يخلص نفساً من الموت » هى نفس الذى ضل ، « ويستر كثرة من الخطايا » أى خطايا الباحث عن الضالين . لأنه كما نستر على الضالين بردِّهم إلى طريق الحق ، يستر الله أيضاً علينا من جهة خطايانا الكثيرة . ففى تَرَفُّقِنا بالساقطين يقيمنا الرب معهم ويتراءف علينا[٨٦] .

ويقول **القديس بينوفيوس** : [وأيضاً مع الرحمة والإيمان تُمْحَى الذنوب إذ بالرحمة والحق يُستَرُ الإثم (أم ١٦ : ٦) ... وذلك كما بواسطة شوقنا نحو خلاص الذين ضلوا وسَعْيِنا وتَعَبِنا بإنذاراتنا ووعظنا][٨٧] .

ويقول **القديس اغريغوريوس** : [إن كان الذى يخلِّص إنسانا من الموت الجسدى ــ مع أنه إن لم يجد الموت اليوم يموت غداً ــ فإنه يستحق مكافأة عظيمة ، فأى مكافأة يستحقها من يخلِّص نفساً من الموت الأبدى ويُسبِّب لها مجداً أبدياً لا تخسره أبداً ؟!][٨٨] .

ويقول **القديس يوحنا الدرجى** : [التقرب بنفس واحدة إلى الله بالتوبة أفضل عند الله من جميع القرابين ، إذ ليس فى العالم عند الله أفضلُ من النفس

الإنسانية ، لأن كل ما فى العالم يزول إلا النفس المذكورة فإنها خالدة][٨٩] .

ويقول **القديس يوحنا ذهبى الفم** : [لنولول عليهم أشدَّ من ولولة النساء النادبات ، لأنهم يجهلون خلاصهم ، لأن المرأة لا تحب رجلها هكذا كما نحب نحن كافة الناس لنجذبهم للخلاص ...] .

[إن رأيتَ أعمى سيسقط فى هوة أما تمد يدك إليه وتسنده حالاً . فكيف إذن يسوغ لنا أن نرى إخوتنا ساقطين فى مثل هذه المخاطر ولا نمد إليهم يد الإغاثة وهم مشرفون على السقوط فى الحفرة الجهنمية الخالدة][٩٠] .

[متى رأيتَ إنساناً محتاجاً إلى شفاء روحى أو جسدى ، لا تقل فى نفسك إن هذا من عمل فلان أن ينقذه من شره ويَشفيه . فإننى أنا علمانى ولى زوجة وأولاد ، وهذا من عمل الكهنة والرهبان .

أجبنى يا هذا هل لو وجدتَ وعاءً مملوءاً ذهباً تقول فى نفسك لِمَ لا يأخذ هذا الوعاء فلان أو فلان ... بل تبادر كالذئب الخاطف وتأخذه قبل أى إنسان .

ليكن لك هذا الاشتياق بالنسبة لإخوتك الساقطين ، **واضعا فى نفسك انك وجدتَ كنزاً ثميناً جداً . وهو اعتناؤك بأمر خلاص أخيك** . هوذا الله نفسه يقول على فم رسوله انك إن أنقذتَ إنساناً من الضلالة تخلص نفساً من الموت !] .

الملاحظـــات

مقدمـــة

(١) لقبت هذه الرسائل بالكاثوليكون منذ القرون الأولى وجاء ذلك فى كتاباتهم منها :
★ دعا العلامة أوريجانوس فى تفسيره ٢ يو ٦ : ٨ رسالة بطرس الأولى بالكاثوليكون .
★ دعا القديس ديوناسيوس الاسكندرى رسالة يوحنا الأولى بالكاثوليكون .
★ دعا يوسابيوس القيصرى فى تاريخه (٢ : ٢٥) يعقوب ويهوذا بالكاثوليكون .

(٢) مت ١٠ : ٣ ، مر ٣ : ١٨ ، لو ٦ : ١٥ ، أع ١ : ١٣ .

(٣) يرى القديس جيروم أنه فى مر ١٥ : ٤٠ « مريم أم يعقوب الصغير ويوسى » كلمة « الصغير » تعنى المقارنة بين شخصين فقط فلا يوجد يعقوب ثالث ، وبهذا يكون يعقوب أخو الرب هو نفسه يعقوب بن حلفى (الصغير) ، ولكن بعض الآباء يرون أن الكلمة فى الأصل لا تدل على المقارنة بين اثنين فقـــط .

(٤) يوسيفوس ك ٢٠ ف ١١ .

(٥) أوسابيوس ك ٢ ف ٢٢ .

(٦) راجع يع ١ : ٦ مع سى ١ : ٢٨ ، يع ١ : ٩ ، ١١ مع سى ٣١ : ٥ ، يع ١ : ٢ ، ٤ مع سى ٢ : ١ ــ ٥ ، يع ١ : ١٣ مع سى ١٥ : ١١ ــ ٢٠ ، يع ١ : ١٩ مع سى ٤ : ٢٩ ، يع ٢ : ١ ــ ٦ مع سى ١٠ : ٢٦ ــ ٣٤ ، يع ٣ : ٢ مع سى ١٩ : ١٦ ، ١٧ ، يع ٣ : ٩ مع سى ١٧ : ٨ ، يع ٥ : ١٣ مع سى ٣٨ : ٩ ــ ١٥ .

(٧) راجع يع ١ : ٥ مع حك ٩ : ٤ ــ ٦ ، يع ١ : ٧ مع حك ٧ : ١٥ ، ١٦ ، يع ١ : ١٩ مع حك ١ : ١١ ، يع ٢ : ٦ مع حك ٢ : ١٠ ، ١٩ .

(٨) راجع يع ١ : ٢ ، ٣ مع ١ بط ١ : ٦ ، ٧ ، ٤ : ١٢ ، ١٣ ، يع ١ : ١٠ ، ١١ مع ١ بط ١ : ٢٤ ، يع ١ : ١٨ مع بط ١ : ٣ ، ٢٣ ، يع ١ : ٢١ مع ١ بط ٢ : ١ ، ٢ ، يع ٤ : ١٠ مع ١ بط ٥ : ٦ ، يع ٥ : ٢ مع ١ بط ٤ : ٨ .

(٩) أخذت المسيحية منذ بدء نشأتها الكثير من النظم والترتيبات الروحية التى كانت قائمة ، لكنها امتنعت عن الختان الجسدى والذبائح الدموية وغير ذلك من الأمور التى كانت ظلالا للعهد الجديد (أرجو من الله أن يسمح بإفراد بحث خاص بالكنيسة الأولى وارتباطها بالنظم والطقوس السابقة) .

(١٠) راجع رو ٦ : ١ ــ ١٢ ، عب ١٠ : ٢٦ ، تى ١ : ١٦ ، غلا ٥ : ١٩ ــ ٢١ ، ٢ تس ١ : ٨ ، ٩ .

(11) Donald Guthrie: New Testament Introd., 1975, p 736.
(12) Ad Rom 4:1 ; In lev, hom 2:4 ; In Josh. hom 7:1.

(13) J.B. Mayor: Epist. of James, 1913, p li.

(14) C.f Guthrie : N. T. Introd., p 739 ff.

(15) J.B. Mayor, p XIV . XVI.

(16) R. J. Knowling: The Epistle of St. James, 1904, p XII, XIII.

الأصحاح الأول : الإيمان والتجارب

(١) تكملة النص سبق شرحه فى المقدمة .

(٢) راجع ١ بط ١ : ٦ ، ٧ ، ٤ : ١٣ .

(٣) القيم الروحية لعيد النيروز ، ص ١٨ .

(٤) رسائل القيامة للبابا أثناسيوس ، طبعة ١٩٦٧ ، ص ١٦٣ .

(٥) القيم الروحية لعيد النيروز .

(٦) مناظرات يوحنا كاسيان ، طبعة ١٩٦٨ ، ص ٢٣٨ .

(٧) حياة الصلاة الأرثوذكسية .

(٨) مناظرات يوحنا كاسيان ، ص ١٥٠ .

(٩) مثل الفلسفات الغنوسية بكل أنواعها .

(١٠) ٢ أى ٣٤ : ٢٤ ، ار ٦ : ٩ ؛ ١١ : ١ ؛ ٤٩ : ٣٧ .

(١١) راجع كتيب : « الحب : مفهومه ودرجاته » ، طبعة ١٩٧٠ .

(12) Works of Dionys. : Exegetical Fragments .

(١٣) الفيلوكاليا .

(١٤) اغسطينوس فى شرح الموعظة على الجبل ، طبعة ١٩٦٨ ، ص ٨٨ — ٩١ .

(١٥) الأقوال ما بين القوسين هنا وما بعد ذلك ليست من أقوال القديس .

(١٦) مناظرات يوحنا كاسيان ، ص ٣١٥ .

(17) The Confessions 3 : 6.

(18) cf. Augustine : On the Gospel of St. John, 57 : 3.

(١٩) بستان الرهبان .

(٢٠) المرجع السابق .

(٢١) دير السريان : القديس باسيليوس الكبير ، ص ٥٥ .

(٢٢) بستان الرهبان .

(٢٣) الحب الأخوى ، عدم الغضب ، ص ٣١٤ .

(٢٤) المرجع السابق ، ص ٣١٥ .

(٢٥) للاستزادة من أقوال الآباء عن « الغضب » راجع : الحب الأخوى ، ص ٣٠٩ ــ ٣٩٠ .

(٢٦) الشخص الملتزم برعاية المعمد فى الايمان المستقيم والحياة المسيحية .

(٢٧) أى القديس يوحنا سابا : عن بستان الرهبان .

(٢٨) المرجع السابق .

(٢٩) المرجع السابق .

(٣٠) راجع كتيب : رسالة تعزية إلى أرملة شابة ، للقديس يوحنا الذهبى الفم .

(٣١) راجع كتاب « الترمل » للقديس اغسطينوس ، وكتاب القديس باسيليوس لدير السريان ، ص ٣٦٦ ــ ٣٧٠ .

الأصحاح الثانى : الإيمان والأعمال

(٣٢) ترجمها البعض فى صيغة استفهام : « ألا يكون لكم إيمان ... ؟! » .

(٣٣) رسالة اكليمنضس أسقف روما ، طبعة ١٩٦٧ ، ص ٣٣ ، ٣٤ .

(٣٤) الحب الرعوى .

(٣٥) عن مقالتين عن أتروبيوس ، طبعتا تحت اسم « الكنيسة تحبك » ، سنة ١٩٦٨ ، ص ٣٥،٣٦ .
(36) Strom. 6 : 164 ; 7 : 73.

(٣٧) رسالة رقم ١٦٧ .

(٣٨) الحب الأخوى ، ص ١٥٣ .

(٣٩) راجع ص ٨ .

(٤٠) رسائل القيامة للبابا أثناسيوس الرسولى ، ص ١٣٢ ــ ١٣٦ .
(41) Concerning the Statues 5 : 6.

(٤٢) عظات على فصول منتخبة من العهد الجديد ، ٣ .

(٤٣) المرجع السابق ، عظة ٢١ .

(٤٤) قيل إن يشوع تزوجها وجاء من نسلها ثمانية أنبياء .

(٤٥) رسائل القيامة ، ١٤٤ ــ ١٤٥ .

الأصحاح الثالث : الإيمان واللسان

(٤٦) صلاة الاستعداد والصلاة بعد القسمة .

(47) The Genuine acts of Peter.

(٤٨) سلم السماء ١١ : ٢ .

(49) De Nat et Grat.

(٥٠) عظات على فصول منتخبة من العهد الجديد .

(٥١) مناظرات يوحنا كاسيان : ٧ ، راجع مناظرة : المعرفة الروحية .

(٥٢) أع ٥ : ١٧ ؛ ١٣ : ٤٥ ؛ رو ١٣ : ١٣ ؛ غلا ٥ : ٢٠ .

الأصحاح الرابع : الإيمان والشهوات

(٥٣) حرصاً على عدم الإطالة راجع مناظرات يوحنا كاسيان ص ٤٦٢ ــ ٤٧٤ .

(٥٤) راجع كتاب « الكنيسة تحبك » ص ٣٦ ــ ٣٨ .

(٥٥) مز ٧٣ : ٢٧ ، أش ٥٤ : ٥ ، ار ٢ : ٢ ، ٣ : ١ ، حز ١٦ ، ٢٣ : ٣٧ ــ ٤٣ ، هو ٢ : ٢ .

(٥٦) مت ١٢ : ٣٩ ، ١٦ : ٤ ، رؤ ٢ : ٢٠ ــ ٢٢ ...

(٥٧) ٢ كو ١١ : ٢ .

(٥٨) خر ٣٤ : ١٤ ، تث ٤ : ٢٤ ، ٥ : ٩ ، ٦ : ١٥ ، يش ٢٤ : ١٩ ، حز ٣٩ : ٢٥ ، نا ١ : ٢ ، زك ٨ : ٢ .

(٥٩) رسالة القديس أكليمنضس أسقف رومية طبعة ١٩٦٧ .

(٦٠) مناظرات يوحنا كاسيان ١ .

(٦١) الفيلوكاليا عن الصلاة ص ٨ ــ ٩ .

(٦٢) باخوميوس أب الشركة وتلميذه تادرس طبعة ٦٧ ص ٤٦ .

(٦٣) مرجع ٦٦ .

(٦٤) الحب الأخوى ص ٤٤٥ .

(٦٥) العناية الإلهية للقديس يوحنا ذهبى الفم مترجم عن الفرنسية لعايدة حنا ف ١١ .

الأصحاح الخامس : الإنشغال بالغنى

(٦٦) الكنيسة تحبك ص ٣٥ .

(٦٧) لا ١٩ : ١٣ ، سى ٣٤ : ٢٧ راجع تث ٢٤ : ١٤ ، ١٥ ، عا ٣ : ١٠ ، ٥ : ١١ ــ ١٣ ، أم ٣ : ٢٧ ، ٢٨ ، أش ٥ : ٨ ، أى ٢٤ : ١٠ ، طو ٤ : ١٥ .

(٦٨) أغناطيوس وبوليكربس ورسائلهما (رسالة إلى رومية) .

(٦٩) رسائل القيامة طبعة ٦٧ ص ١٣٠ .

(٧٠) رسالة اكليمنضس الأولى طبعة ٦٧ ص ٤١ ــ ٤٦ .

(٧١) رسائل القيامة ص ٦ / ١٥٥ .

(٧٢) إرشادات ونصائح ص ١٦ .

(٧٣) هل للشيطان سلطان عليك ص ٩٠ ــ ٩٦ .

(٧٤) استحسنت ذكر النص كاملا .

(٧٥) اغسطينوس : الموعظة على الجبل ٥ / ١٢٤ .

(76) Concerning The Statues.

(٧٧) اغسطينوس : الموعظة على الجبل وعظات على فصول منتخبة من العهد الجديد .

(٧٨) الفيلوكاليا عن الصلاة ص ١٠ (نُسبت خطأً للأب نيلس فى الفيلوكاليا وهى للأب أوغريس) .

(٧٩) القديس باخوميوس أب الشركة .

(٨٠) الفيلوكاليا عن الصلاة ص ١٤ .

(٨١) أف ٥ : ١٩ ، ٢٠ ، ١ كو ١٤ : ١٥، كو ٣ : ١٦ .

(٨٢) مناظرات كاسيان ص ٢٣٣ .

(٨٣) الفيلوكاليا عن الصلاة ص ٢٥ ، ٢٦ .

(٨٤) راجع كتاب الحب الإلهى « الله مقدسى » .

(85) Tert. On Prayers 29.

(٨٦) راجع نح ٤ : ٥ ، مز ٣٢ : ١ ، أم ١٠ : ١٢ ، دا ١٢ : ٣ ، ١ بط ٤ : ٨ .

(٨٧) مناظرات يوحنا كاسيان ٨ / ٥٠٧ .

(٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠) الحب الأخوى ٧٣ .

ن. ٦٦٣٠